الإمام محمد قاسم النانوتوي

رائد النهضة الإسلامية ومؤسس حركة المدارس الدينية
في شبه القارة الهندية
(1248 – 1297 هـ = 1833 – 1880م)

تأليف
الشيخ خالد سيف الله الرحماني
(رئيس جائزة الإمام محمد قاسم النانوتوي الإسلامية العالمية)

تعر يب وتعليق
محمد أعظم الندوي

المعهد العالي الإسلامي حيدر آباد (الهند)
قسم جائزة الإمام محمد قاسم النانوتوي الإسلامية العالمية

الطبعة الأولى

1431 هـ = 2010م

تعليم آباد , قبا كالوني , حيدر آباد 500005 (الهند)

قام بطبعه وإخراجه

محمد عمر عابدين القاسمي المدني

(سكرتير جائزة الإمام محمد قاسم النانوتوي الإسلامية العالمية)

AL MAHADUL AALI AL ISLAMI HYDERABAD

Taleemabad, Quba Colony, Post: Pahadi Shareef, Hyderabad –500005, A.P (India)

Phone: +91 40 20022098, **Website:** www.almahad.org /www.khalidrahmani.com

Email: ksrahmani@yahoo.com / ksrahmani@hotmail.com

تم تنضيد هذا الكتاب وتصحيحه وتنسيقه في مركز " قبا غرافكس " .

الإمام محمد قاسم النانوتوي

رائد النهضة الإسلامية ومؤسس حركة المدارس الدينية

في شبه القارة الهندية

تمهيد:

إن الله جلّ ثناؤه يخلق الأشياء حسب ضرورة الإنسان والمكان , فحيثما تدعو الحاجة إلى شيء ينزل ثمة , وذلك تقدير العزيز العليم , فهذه الصحراء القاحلة والأرض الجدباء لا ينزل فيها المطر أم يقل ؛ لأنها لا تحتاج في بقاء كيانها إلى الأمطار , وأما الغابات والمراعي الخصبة فقلما تخلو من شآبيب , بل تتمتع عامةً بالوابل الصيب ؛ لأن الأشجار والشجيرات لا تبقى بدونه , كذلك المناطق التي يشتد بها البرد يكثر فيها إنتاج الزعفران , وتوجد فيها أنعام كثيرة الأوبار والأشعار , للناس فيها دفء وحرارة حتى يستدفئوا بها في برد شديد قارس , وبالعكس من ذلك ترى المناطق التي يشتد بها الحر ويتعذر البقاء بها في الصيف أنها تتمتع بثمرات يوجد فيها نوع من البرودة الطبيعية , ولعل هذه سنة الله في بروء النسمات وتخليق الشخصيات ؛ فإنه يبعث شخصيات وفق مصالح العصر والمصر , والزمان والمكان , هذه سنة الله التي قد خلت من قبل , ولن تجد سنة الله تبديلا .

إن القرنين التاسع عشر والعشرين كانا من أقسى أدوار التاريخ الإسلامي بالنسبة للإسلام والمسلمين بعد فتنة التتار , فقد استولى الغرب خلالهما على أكبر رقعة من رقاع العالم الإسلامي بعقليته الاستعمارية وسياسته الاستيطانية , وترفرت رايات أوربا على أقطار الشرق والغرب , فكانت الهزائم المتتالية في الحروب الصليبية وذكرياتها مؤلمة للغرب , كانت الأيام والليالي تمرّ بسرعة , ولكن آلام الجروح المثخنة التي أصيب بها تجعله يضطرب ظهراً لبطن , ويتململ تململ السليم , ولذلك كان أهل الغرب واصلوا الجهود في غزوهم الفكري بجانب فتح الأمصار والبلاد , واستهدفوا كلاً من حياة الرسول ρ , وكتاب الله الخالد، والشريعة الإسلامية السمحة، والتاريخ الإسلامي الحافل بالأمجاد والبطولات , والفتوح الإسلامية بنقد لاذع وتحليل جائر , وأورثوا التشكيك في كل ما يمت بصلة إلى الإسلام من علم وأدب وتراث .

وكان عدد كبير من المسلمين يقطنون في شبه القارة الهندية , ولعلهم كانوا يشكلون 40٪ تقريبًا من سكان العالم الإسلامي , وكانت فيها حكومة مغولية ذات قوة وسيادة ,

ونظام أرستقراطي , وكان لها أهمية خاصة في خريطة العالم الإسلامي من ناحية الذكاء والفطنة والغيرة الإسلامية , وكان موقع هذه المنطقة وسط العالم الإسلامي .

كانت هذه الأوضاع والظروف تتطلب شخصية فذة عبقرية , تقوم برد قوي على شبهات تُثار حول الإسلام بعد وزنها في موازين العقل وتحليلها في ضوء الفطرة الإنسانية , ولا يكون هذا العبقري ذكيًا صرفًا , وفطنًا خشنًا لا تحضّه العواطف والقيم , وإنما يكون بجانب النبوغ والعبقرية ثاقب الفكر , نافذ البصيرة , رابط الجأش , متوجع الفؤاد , لا يهدأ له بال , ولا يقر له قرار , لا يصبر على غواية الأمة , ولا يقعد عن العمل , وقد أعطي جزءًا من كرب الرسول ρ الذي وصفه القرآن بـ" بخع النفس " في قول الله عز وجل :[فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا] [1] ؛ لأن هذا هو الاضطراب والتململ الذي يحرض الإنسان على الصبر في البلايا , والمشي على القتاد , والجد والاجتهاد , والكفاح والجهاد , وكان من الضروري أن يكون جامعا بين عاطفة وحنان , وجدية واتزان , متحمساً سكران في نشوة الغيرة والإباء , والأخذ بالثوابت , صاحيًا يقظان في معرفة العصر , محظوظًا بالتدبير والحكمة , والاعتدال والوسطية في الفروع والمتغيرات , يجمع بين الأصالة والمعاصرة والشريعة والواقع .

في هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ برزت شخصية الإمام محمد قاسم النانوتوي الذي تتوفر فيه مواصفات عبقري عصامي , والذي لم يطل عمره ؛ ولكنه كرس حياته في خدمة الدفاع عن الإسلام ومقاومة الغزو الفكري , وأسس حركة المدارس الإسلامية في الهند التي هي أقوى حركاتها وأشدها تأثيرًا , وأوسعها فائدة , وأعمقها نتيجةً , وأحلاها ثمرة على مدى القرنين المنصرمين .

نسبه :

[1] الكهف : 6

من المدن العريقة ذات السمعة المعروفة في الهند مدينة " سهارنفور " , وكانت تسمى في القديم " شاه هارون فور " منسوبةً إلى أحد شيوخ هذه المنطقة , ثم تحول اسمها إلى " سهارنفور " تدريجيًّا , تقع على مقربة من دهلي [1] حاضرة الهند – التي ظلت طيلة قرون عديدة مقر هذه البلاد الواسعة المترامية الأطراف منذ عهد الإمبراطور المغولي شاهجهان [2] إلى يومنا هذا سوى فترات محدودة خلالها [3] – , ومن أعمالها قرية " نانوته " وهي قرية ضاربة في القدم , مرموقة في العلم والديانة والمروءة والكرم , كانت ثمة عائلة صديقية منذ قديم الزمان , ينتهي نسبها إلى جدهم الأعلى محمد هاشم – الذي نزح إلى هذه البلاد من مدينة بلخ [4] – ولد

[1] دهلي : عاصمة الهند ، وإقليم ضمن الاتحاد الهندي ، يتألّف من ثلاث مناطق سكانية وهي : دهلي القديمة ودهلي الجديدة (نيودهلي) ومعسكر دهلي، مع القرى البالغ عددها 214 قرية في الريف المجاور، وتبلغ مساحة الإقليم 1,483كم^2، وعدد السكان 12,791,458 نسمة ، بنيت نيودهلي الجديدة في أوائل القرن الحالي بموجب التصاميم التي أعدها المعماري البريطاني سر إدون لوتينز بمعاونة المعماري سر هربرت بيكر، التي تتميز بشوارعها الجميلة المشجرة فسيحة الأرجاء ، ذات الحدائق الواسعة , وبتخطيط منسق دقيق ، في ذكرى إعلان الجمهورية يوم 26 يناير، حيث بدأ تطبيق الدستور الجديد عام 1950م وأصبحت الهند دولة مستقلة ذات نظام جمهوري ديمقراطي ، تضم دهلي أجمل المعالم والنصب التذكارية ، مثل قطب منار والقلعة الحمراء ومسجد جاما (المسجد الجامع) .

[2] هو أبو المظفر شهاب الدين شاهجهان بن نور الدين جهانكير (1592-1667م)، خامس حاكم للإمبراطورية المغولية في الهند , اتصف شاهجهان برجاحة العقل والذكاء , وقوة العزيمة حتى كان جده أكبر شديد الاعتزاز به , صار حاكماً في عام 1627م , عاش المغول خلال حكمه عصرهم الذهبي , وامتلأت بالنسبة للكنوز الهائلة والفن المعماري الرائع ، ويُذكر شاهجهان بتاج مَحَل المكتَمل التناسق ، وهو ضريح ضخم من الرخام الأبيض بناه تخليدا لذكرى زوجته المحبوبة ممتاز محل التي ماتت عام 1629م في آكرا بالهند، كما بنى القلعة الحمراء ومسجد جاما (المسجد الجامع) في دهلي، وكان حكم شاه جهان غير مستقر , وقد تعرض لبعض الثورات الداخلية.

[3] أعاد شاهجهان العاصمة من آغرا ، وكانت آغرا عاصمة في حياة والده أكبر , وذلك بعد تدهورها ؛ إلى دهلي عام 1648م .

[4] إحدى مدن أفغانستان ، تقع قريبًا من منطقة مزار شريف ، وهي مدينة تاريخية عريقة دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري ، وكانت من أهم حواضر خراسان قديمًا ، وفتحت في خلافة عثمان بن عفان، بقيادة الأحنف بن قيس ، قيل : إن أول من بناها لهراسف الملك ، وقيل: الإسكندر , ينتسب إلى بلخ علماء مشهورون في ميادين العلم والمعرفة منهم: جلال الدين الرومي صاحب المثنوي ، المتصوف العابد إبراهيم بن أدهم العجلي ، وأبو زيد أحمد بن سهل البلخي صاحب مؤلف تقويم البلدان، ومنهم أيضًا شاعر فارس أبو الحسين شهيد بن الحسين البلخي ، وأبومعشر جعفر بن محمد البلخي عالم الفلك البارع في علم النجوم.

في جيله السابع الشيخ أسد علي الصديقي , ينتهي نسبه بثلاث وأربعين واسطة إلى الشيخ قاسم [1] بن محمد بن أبي بكر τ , وإلى هذه العائلة ترجع إقطاعة قرية " نانوته " في عهد الإمبراطور المغولي " شاهجهان " الذي كانت الإقطاعية سائدة في عصره .

مولده , نشأته وطلبه للعلم :

في هذه القرية العامرة الآهلة ولد الإمام محمد قاسم النانوتوي بن أسد علي الصديقي في شهر شعبان أو رمضان عام 1248 ه الموافق شهر يناير عام 1833م , وكانت أمه ابنة الشيخ وجيه الدين المحامي الشهير بسهارنفور الذي كان يمارس المحاماة هنا في عهد الإنجليز , وكان تبوّؤ هذه المكانة يعدّ مفخرة , ومن أسمى ما يرام في ذلك العصر , كان الشيخ النانوتوي ذكيا فطنًا نابهًا بين أقرانه في التعليم والدراسة منذ صباه , تلمذ على مجموعة من أفاضل عصره , أما شيخه الذي لازمه سنين طويلة , واستفاد من علمه , وقرأ عليه معظم الكتب الدراسية , فهو الشيخ مملوك العلي النانوتوي [2] الذي كان من أجل علماء عصره

---

(1) قاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه (31-106ه =653-721م) ، أخذ عن بعض الصحابة ، وأخذ عنه طائفة من أعلام التابعين ، قال أبو الزناد : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم ، وهو أحد الفقهاء السبعة ، وأما بقيتهم فهم : سعيد بن المسيب (ت/93ه)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت/94ه) ، وعروة بن الزبير بن العوام (ت/94ه) ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (ت/94ه)، وسليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها (ت/100ه)، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت/100ه) ، وهم أكبر التابعين ، وكلهم من المدينة النبوية , وقد نظمهم بعض الأجلة في بيت واحد فقال:

فخذهم عبيدالله عروة قاسم ≅ سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(2) هو الشيخ العالم الكبير مملوك العلي بن أحمد الصديقي النانوتوي (ت/1265ه = 1851م) أحد الأساتذة المشهورين ومرجع طلبة العلم , ولد بنانوتة , وقرأ في المدرسة الابتدائية هناك , ثم دخل دهلي وأخذ عن العلامة رشيد الدين الدهلوي وغيره من العلماء , وتمهر في الفقه والأصول والعربية , ولي التدريس " بكلية دهلي " , فدرس وأفاد فترة طويلة , حتى ظهر تقدمه في العلماء , وسافر إلى الحجاز , فحج وزار ثم عاد إلى الهند بعد سنة كاملة , و عمل نائباً لرئيس هيئة التدريس بكلية دهلي , وأمينًا عامًا بالمدرسة العالية (كولكاتا) , أخذ عنه خلق كثير لا سحصون بعد ولاحد،فكثر تلاميذه ونبغوا , وانتفع بهم أجيال عبر السنين .

وأشهرهم , وأستاذًا في الكلية العربية بدهلي [1] , استمر الإمام في طلب العلم حتى منح الشهادة العلمية عام 1264هـ أو 1265هـ , ومن أساتذته الذين درس عليهم العالم الشهير والأديب الأريب صدر الصدور المفتي صدر الدين [2] تلميذ المحدث الكبير سراج الهند الشيخ الشاه عبد العزيز الدهلوي [3] , وبعد إكمال دراسته في الكلية بدأ قراءة الحديث على المحدث الهندي الشهير الشاه عبد الغني بن أبي سعيد المجددي الدهلوي [4] , وكان من سلالة الإمام

---

(1) كلية دهلي : كانت في الأصل " مدرسة غازي الدين حيدر خان " التي كان قد أسسها وزير عالم كبير الثاني غازي الدين حيدر خان , والد نظام الملك آصف جاه الذي تنتمي إليه المملكة =

= الآصفجاهية بحيدر آباد (الدكن) , وتحولت هذه المدرسة على أيدي المسئولين عن شركة الهند الشرقية عام 1241هـ = 1825م إلى كلية دهلي , وأضيفت اللغة الإنجليزية والعلوم العصرية إلى منهاجها الدراسي عام 1244هـ = 1828م , ومنذ تأسيس وافتتاح الكلية عين الشيخ رشيد الدين خان الكشميري (ت/1243هـ = 1827م) – أحد كبار تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوي – رئيس هيئة التدريس بها , وعين الشيخ مملوك العلي النانوتوي نائب رئيس هيئة التدريس , وتهدمت الكلية في ثورة 1857م , ثم أعيد بناؤها عام 1308هـ = 1890م باسم " الكلية العربية الإنجليزية " وقد غير اسمه قبل سنوات إلى كلية الدكتور ذاكر حسين .

(2) صدر الدين بن لطف الله الكشميري (1204–1285هـ = 1789-1868م) , أحد علماء وأدباء الهند في عصره , قرأ الحديث والعلوم الأخرى على الشيخ عبد العزيز والشاه عبد القادر والشاه محمد إسحاق , وكانت بينه وبين شعرائه المعاصرين له علاقة وطيدة مثل أسد الله خان الغالب , وذوق وشيفته وأمثالهم , كما تلمذ على الشاه نصير , ومجرم أكبر آبادي , ومير ممنون في الأدب الأردي , كان يقرض الشعر في اللغات الأردية والفارسية والعربية , ولكنه لم يرتب ديوان شعره , ترك من مآثره العلمية , " ذكر شعراء أردو " , وكان يتبوأ منصب " صدر الصدور " من قبل الشركة الهندية الشرقية , قام بتجديد مدرسة " دار البقاء " على كفالته الذاتية .

(3) هو عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (1159-1239هـ =1746- 1824م) ، أحد كبار العلماء والمحدثين في تاريخ الهند , أخذ العلم عن والده وكبار علماء عصره ، واضطلع بأعباء الدعوة إلى الله في حكمة وبصيرة ، وخطب وكتب ، كما تولى بعد وفاة أبيه قيادة الحركة التجديدية التي قادها أبوه إلى جانب مسنده في التدريس ، والواقع أن ظروف الابن كانت أكثر صعوبة عن حقبة أبيه حيث بدأ تأثير كل من السيخ والإنجليز ينمو باضطراب في الحياة السياسية والاجتماعية لشبه القارة الهندية ، له مؤلفات كثيرة , منها : " العقبات في بعض مسائل الحكمة =

= الإسلامية العالية " ، و" تنوير العينين في رفع اليدين" ، و" فتح العزيز في تفسير القرآن " ، و" تحفة اثنا عشرية "، و" بستان المحدثين " , و" العجالة النافعة " وغيرها.

(4) هو عبد الغني بن أبي سعيد العمري ، المجددي الدهلوي ، ثم المدني ، الحنفي (1235 - 1296هـ =1820-1879م) ، ولد ببلدة دهلي ، ونشأ بها ، وقرأ على جماعة من العلماء ، وأخذ الطريقة عن الإمام محمد معصوم ، نجل

الرباني الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي [1] , أخذ عنه الكتب الستة إلا سنن أبي داؤد , فقد قرأها على الشيخ أحمد علي السهارنفوري [2] تلميذ الشاه محمد إسحاق الدهلوي [3].

ومن رفاقه في الدراسة العالم الجهبذ والمحدث المعروف الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي [4] صاحب " لامع الدراري شرح صحيح البخاري " [1] و " الكوكب الدري شرح سنن الترمذي "

الإمام المجدد الشهاب أحمد بن عبد الأحد العمري السرهندي ، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين سنة 1272هـ، وتوطن المدينة ، وتوفي بها ، ودفن بالبقيع ،كان بهجة المحدثين ، وزينة المسندين العالم العامل العارف , وصفه الشيخ أبو الحسن ابن ظاهر بـ " حامل لواء أهل الرواية والأثر، في بلدة سيد البشر "، وقال عنه تلميذه الترهتي في " اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني " : " لا تكاد تسمع أذناك عند غيره فيها(المدينة)"حدثنا الزهري عن سالم عن أبيه" إلاّ قليلاً"، من تصانيفه: حاشية على سنن ابن ماجة سماها "إنجاح الحاجة"، و"رسالة في تخريج أحاديث مكتوبات الإمام الرباني".

(1) هو أحمد بن عبد الأحد بن زيد العابدين السرهندي الفاروقي الإمام الرباني مجدد الألف الثاني (971-1034هـ = 1563-1625م) , ولد بمدينة سر هند (الهند) , ونشأ في بيئة متضاربة فكريا وعقليا في عهد الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر الذي كان متأثرًا بالديانة البرهمية والزرادشتية , وقف الشيخ سرهندي في وجه أفكاره الضالة واستمر عليه حتى وصل إلى البلاط في عهد ابنه , وتغير الدين الباطل الذي كانت عليه الدولة إلى دين الإسلام الصحيح بجهوده المشكورة , وقاوم المدالشيعي الذي اخترق البلاط الملكي في عهد جهانكير , وهو مدرسة مهمة في فقه التمكين , وله منهجية رائعة في أساليب الدعوة , وله مكتوبات ورسائل كتبها إلى تلاميذه وأتباعه , طبعت باسم " مكتوبات الإمام الرباني " قام بتخريج أحاديثها الشيخ محمد سعيد المدراسي باسم " تشبيد المعاني في تخريج أحاديث مكتوبات الإمام الرباني " .

(2) هو الشيخ أحمد بن لطف الله الحنفي (ت/1297هـ) أحد كبار الفقهاء الحنفية في الهند , ومن أجلّ أساتذته الشيخ مملوك العلي النانوتوي , والشيخ وجيه الدين السهارنفوري , قرأ الأمهات الست على الشيخ إسحاق الدهلوي , وأخذ عنه الإجازة , وكان عالماً ذا عناية تامة بالحديث , صرف عمره في تدريس الكتب الستة وتصحيحها , لا سيما صحيح الإمام البخاري فقد خدمه عشر سنين , فصححه وكتب عليه حاشية مبسوطة .

(3) هو أبو سليمان إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوي المهاجر إلى مكة المباركة (1196-1262هـ) , سبط الشيخ عبد العزيز الدهلوي من جهة الأم , من شيوخه الشيخ عبد الحي البرهانوي , والشيخ عبد القادر الدهلوي , وقرأ سائر الكتب الدراسية على مؤخر الذكر , وتفقه عليه , وأخذ الحديث عنه , خلف الشيخ عبد العزيز بعد وفاته , وله تلاميذ أجلاء كالشيخ عبد الغني الدهلوي , والشيخ السيد نذير حسين الباني بتي , والسيد عالم علي المراد آبادي , والشيخ أحمد علي السهارنفوري , وخلق آخرون , وأكثرهم نبغوا في الحديث .

(4) هو الشيخ رشيد أحمد بن الشيخ هداية أحمد الأيوبي الكنكوهي (1244-1323هـ = 1829-1905م) , الشيخ الفقيه المحدث الكبير والعالم الرباني , وشيخ مشايخ الديوبندية , وصاحب التآليف السامية , ومن المجاهدين المغامرين

[2] والأستاذ سر سيد أحمد خان [3] مؤسس جامعة عليكره الإسلامية [4] – فيما يقال – وأخذ الطريقة عن الشيخ الحاج إمداد الله العمري التهانوي المهاجر المكي [5] , وبايع على يده ثم نال

ضد الاستعمار الإنجليزي , قرأ على كبار مشايخ عصره , فقرأ أكثر الكتب الدراسية على الشيخ مملوك العلي النانوتوي , وأخذ المعقول عن الشيخ المفتي صدر الدين آزرده , وقرأ الحديث على الشيخ عبد الغني المجددي , حتى فاق أقرانه في المنقول والمعقول , واستفاد منه خلق كثير , وهو أحد الذين بايعوا الشيخ إمداد الله المهاجر المكي على الطريقة , وكان زميلاً للإمام النانوتوي , وله مؤلفات عديدة منها : مجموعة فتاواه في عدة مجلدات , و " لامع الدراري " , و " الكوكب الدري " .

(1) لامع الدراري من أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي على صحيح البخاري باللغة العربية , جمعها =

= الشيخ محمد يحي الكاندهلوي (ت/1334هـ) (والد الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (ت/1402هـ) , ثم اهتم بطبعه – بعد النظر والتحقيق والتعليق – الشيخ محمد زكريا , وهي في ثلاث مجلدات ضخمة بطبع الحجر وعشر مجلدات بطبع الحروف الحديدية .

(2) الكوكب الدري من أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي على جامع الترمذي باللغة العربية , من أكثر شروح الترمذي اختصارًا وأوسعها نفعًا , طبعت في أربع مجلدات بتحقيق الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وتعليقه عليها , وقد بدأ الاعتناء به والد الشيخ محمد يحي الكاندهلوي , قدم له العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

(3) هو الزعيم المسلم الشهير الأستاذ سر سيد أحمد خان بن مير (1232-1316هـ = 1817-1898م) أحد أدباء أردو الكبار ومؤسس العصرانية في الهند وجامعة عليكره , ولد وترعرع في ظل أسرة أستقراطية , رحل أجداده من بلاد الغرب إلى مدينة " هراة " ثم منها إلى العاصمة " دهلي " , التحق بعد ما تخرج في العلوم وبدأ الناس يعرفونه بخدمة الحكومة أمينًا للسجلات في القلم الجنائي , ثم عين منصفًا ثم قاضيًا , كان مهتمًا ببحث آثار دهلي القديمة , وله كتاب في هذا السياق باسم " آثار الضاديد " وأعلن عن رأيه في مناهضة الإنجليز , في كتابه " أسباب بغاوت هند (لأسباب الثور الهندية) , ومن مؤلفاته : " تفسير أحمدي " , و " خطبة أحمد " , و " مجموعة بحوث ومقالات " .

(4) جامعة عليكره : أسست على يد الأستاذ سر سيد أحمد خان عام 1875م , باسم " محمدن أنجلو أورينتال كوليج " (مدرسة العلوم) , وتعرف اليوم باسم " جامعة عليكره الإسلامية " , وقد جمعت هذه الجامعة بين كل من نظم والمناهج التعليمية الشرقية والغربية معًا على منوال الجامعات الدولية ذات الأقسام والكليات , وأصبح العديد من الذين تخرجوا فيها من زعماء المسلمين في الهند , وتعد الآن من أرقى الجامعات في الهند وأوسعها , ومنها نبعت حركة القومية الإسلامية تقابل حركة القومية الهندية والوطنية .

(5) هو الشيخ الأجل الحاج إمداد الله بن محمد أمين العمري المهاجر المكي (1233-1317هـ = 1827-1899م) , وكان من الأولياء السالكين , والعارفين , اتفقت الألسن على الثناء عليه والتعظيم له , تلمذ على الشيخ أحمد علي السهارنفوري والشيخ أبي الحسن الكاندهلوي وغيرهما من كبار العلماء , وأخذ الطريقة من الشيخ نصير الدين الدهلوي , والشيخ نور محمد الجهنجهانوي , وخلف هذا الأخير , يبلغ عدد أتباعه ومريده إلى مائة ألف أو أكثر , كان أمير العسكر في معركة

منه الإجازة في البيعة والإرشاد والتلقين , وكان ممن ذاع صيتهم في الخافقين من مشايخ الهند , واستفاد منهم خلق كثير , وكان من سلالة سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه , بلغ فيضه في الهند إلى أكثر الناس من العوام والخواص شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا, والشيخ إمداد الله حج ثلاث حجج في أعوام (1277 هـ = 1860م , 1286 هـ =1870م و1294 هـ = 1877م) مع أن تسهيلات السفر وخاصة الرحلات الجوية لم تكن متوفرة آنذاك كيومنا هذا , مرض في حجته الأخيرة , ونشط بعد عودته إلى الهند لمقاومة فتنة الردة بدلاً من أن يأخذ قطعة من الراحة ويروح نفسه , وهكذا لم يزل يزداد مرضه , حتى وافاه الأجل المحتوم ظهيرة الرابع من جمادى الأولى سنة 1297 هـ الموافق 15 من أبريل عام 1880م , رحمه الله رحمة واسعة .

خدماته العلمية الرائعة :

يمكن أن تقسم أعمال النانوتوي العلمية إلى ثلاثة جوانب : التدريس , تصحيح الكتب الدينية والتعليق عليها , والكتابة والتأليف .

التدريس:

إنه كان يلقي محاضرات حول بعض المواد الدراسية في زمن طلبه بأمر من شيخه وأستاذه , ولما تخرّج في العلوم الشرعية بدأ يعمل على تصحيح الكتب وتحقيقها بمقابلتها بأصولها ونسخها المختلفة , بجانب تدريسه أمهات كتب الحديث متطوعًا حسبةً لله , حفاظًا على سنة نبيه ρ , ولا سيما دروسه في الصحيحين للإمامين محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري كانت مقبولةً جدًا , فقد حضرها كبار العلماء والمشايخ , كما كان له أكبر نصيب في تدريس غيره من العلوم والفنون , وكان الشيخ محمود حسن الديوبندي [1] – أستاذ الأساتذة وشيخ مشايخ الهند الملقب بـ" شيخ الهند " – من تلاميذه

" شاملي " , و" تهانه بهون " عام 1878م , هاجر إلى مكة المكرمة , وقضى فيها أربعة عشر عامًا , حيث وافته المنية , ودفن في المعلاة , من مؤلفاته : " ضياء القلوب " و " الجهاد الأكبر " و " غذاء الروح " وغيرها .

[1] هو العالم الكبير , العلامة المحدث الشيخ محمود حسن الديوبندي المعروف بـ" شيخ الهند " (ت/1268-1339هـ

, وقد قيض الله تعالى له غيره من تلاميذ أذكياء أمثال الشيخ فخر الحسن الكنكوهي [1] , والشيخ المحدث أحمد حسن الأمروهوي [2] , والشيخ الطبيب منصور علي خان [3] , والشيخ عبد العلي الميرتهي [4] وغيرهم من جلة العلماء – الذين لهم قدم صدق في التأليف والتصنيف

= 1851–1920م) , كان منقطع النظير في الملكة في الفقه وأصوله , ولد ونشأ في ديوبند , وكان أول طالب في دار العلوم / ديوبند , اضطلع بأعباء التدريس هناك بعد التخرج , كان له دور كبير في تحرير الهند من مخالب الاستعمار البريطاني , كان آية باهرة في علو الهمة وبعد النظر , والأخذ بالعزيمة وحب الجهاد , كان قليل الاشتعال بالتأليف بالنسبة إلى غزارة علمه , له تعليقات لطيفة على " سنن أبي داؤد " , و " شرح الأبواب والتراجم للبخاري " ومن أهم آثاره ترجمة معاني القرآن الكريم بالأردية , طبعت مع الفوائد التفسيرية للعلامة شبير أحمد العثماني (ت/1369هـ) , وهي التي وقع عليها الاختيار الأول من مجمع الملك فهد بطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

(1) هو الشيخ فخر الحسن الكنكوهي (ت/1315هـ) تخرج في دار العلوم /ديوبند , عام 1290هـ , مع شيخ الهند , وكان من أشهر تلاميذ الإمام النانوتوي وأجل علماء عصره , له مهارة فائقة في العلوم الطبية أيضا , عمل رئيسا لهيئة التدريس في مدرسة خورجه , ومدرسة عبد الرب بدهلي , وساهم في نشر بعض كتابات أستاذه النانوتوي , وهو الذي تولى ترتيب مناظرة " شاهجهان فور " للنانوتوي , ومن مؤلفاته : " التعليق المحمود " على سنن أبي داؤد , وقد كتب ترجمة قيمة لأستاذه وشيخه النانوتوي .

(2) هو الشيخ أحمد حسن الأمروهوي (1267 – 1330هـ = 1850 – 1903م) , ينتمي إلى مدينة أمروهة من ولاية أترابراديش , كان مدرسًا قديرًا , وخطيبًا حكيمًا , مفطرط الذكاء , اشتهر بتفهيم عبارات دقيقة للإمام النانوتوي بأسلوب سهل واضح , ونسج على منواله في الخطابة والكتابة , وكان حسن الصورة , مليح الكلام , كثير الدرس والإفادة , قام بتوسيع النطاق لكتّاب حيه , وكان في المسجد الجامع , حتى أصبح مدرسة مثالية , وتؤدي دورها حتى الآن في ذلك المسجد الجامع , وكان أول مشرف تعليمي للمدرسة القاسمية (شاهي) بـ مراد آباد .

(3) هو الشيخ الحكيم منصور علي خان (ت/1337هـ = 1919م) , من أشهر علماء الهند , تخرج في دار العلوم عام 1295هـ بعد استفادة علمية دامت سنين من الإمام النانوتوي , كما قرأ الحديث على الشيخ أحمد علي السهارنفوري عام 1293هـ , وعمل مدرسًا في " جامعة طبية بحيدر آباد (الدكن) عدة سنين , ثم هاجر إلى مكة المكرمة وتوطنها , وبها توفي وتوارى بترابها , يوجد من مؤلفاته ثلاثة : " المذهب المنصور " في مجلدين , و" فتح المبين " و " معيار الأدوية " .

(4) هو الشيخ عبد العلي بن نصيب علي الميرتهي (ت/1340هـ) أحد العلماء المشهورين ومن أشهر تلاميذ الإمام النانوتوي , تخرج في دار العلوم عام 1294هـ , وعين مدرسًا هناك , كما درس في الجامعة القاسمية بـ مراد آباد , وبمدرسة عبد الرب بدهلي , كان يضرب به المثل في إدراك تكبيرة الافتتاح في الصلوات , تخرجت عليه جماعة من كبار العلماء من الشيخ أشرف علي التهانوي , =

= والشيخ المفتي محمد كفاية الله الدهلوي , وغيرهما من أشهر علماء عصرهم , وكان يقول : " القاسمي لا يجوع أبدًا " ؛

, والبحث والتحقيق , ومكانة مرموقة بين علماء الهند – فهؤلاء كلهم ارتشفوا من منهل علمه العذب وفضله الفياض , وتربوا على يديه وصُنعوا على عينيه , وترسموا خطواته .

تصحيح الكتب :

كانت كتب المتون في الحديث النبوي عديمة الوجود في الهند , والعلماء الذين كانوا يسافرون إلى الحجاز يأتون معهم بنقولات وصور هذه الكتب , ثم تُنسخ هذه النقولات بخط اليمين وعرق الجبين , فكانت نسبة الاعتناء بعلم الحديث والسعي في نشره ضئيلة جدًّا , وعلى مستوى محدود وفي مجال ضيق , ولم تكن كما ينبغي , وكما كان حقه ؛ فقام بعض أهل العلم بتأسيس المكتبات ودور النشر لطبع كتب الحديث , وأنشأ الشيخ أحمد علي السهارنفوري – الذي كان من كبار المحدثين , وممن درس الكتب الستة حرفًا حرفًا ,كلمةً كلمةً على الشيخ المحدث الشاه محمد إسحاق الدهلوي المهاجر المكي بشد الرحال إلى مكة المكرمة ((زادها الله شرفًا)) وتجشم مصاعب السفر في سبيل العلم – المطبع الأحمدي [1] , ونشر الصحيح للبخاري , وعمل على تصحيح خمسة وعشرين جزءًا من البخاري والتعليق عليه بنفسه , وفوض مهمة تصحيح بقية الأجزاء الخمسة [2] منه والتعليق عليها إلى الإمام النانوتوي , وظهرت هذه النسخة لأول مرة في الهند عام 1267 ﻫ الموافق 1850م , كما قام بتصحيح ترجمة القرآن الكريم للشاه عبد القادر الدهلوي [3] في " المطبع المجتبائي " [1] ,

---

لأنه مع تدهور صحته في آخر عمره كان يتمتع بسعة الرزق وهناءة العيش .

(1) إن " المطبع الأحمدي " أول دار النشر التي تولت طبع كتب الحديث نحو الصحيح للبخاري , والجامع الترمذي , ومشكاة المصابيح للتبريزي , أسسه الشيخ أحمد علي السهارنفوري عام 1263ﻫ = 1845م , تنقل هذا المطبع بعد ثورة 1857م إلى " ميرٹھ " .

(2) كانت هذه النسخة من الصحيح مجزأة إلى ثلاثين جزءًا أو مجلدًا .

(3) هو الشيخ الإمام عبد القادر بن الإمام أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي (ت/1230ﻫ = 1815م) قرأ العلم على ضوء الشيخ عبد العزيز الدهلوي وقرأ عليه الشيخ عبد الحي البرهانوي , والشيخ عبد الغني الدهلوي بالمسجد الأكبر آبادي في دهلي , ومن أعظم ما من الله به عليه أنه وفق لترجمة القرآن وتفسيره في لغة أردو , سماه " موضح القرآن " , ومن خصائصه : أنه اختار لغة بحذاء لغة قاربت بما حاز في العموم والخصوص والإطلاق والتقييد , حتى إنها لا تتجاوز عنها في موارد الاستعمال .

وظهرت نسختها هذه عام 1286 هـ , أضف إلى ذلك خدماته المستمرة في تصحيح الكتب بمطابع أخرى غيرهما , والواقع أن ذلك كان من أهم وسائل نشر العلم آنذاك , وكان التصحيح يضم تبييض المخطوطة , وتسديدها , وإعادة صياغتها والتعليق عليها حسب ما دعت إليه الحاجة .

الكتابة والتأليف :

وأما الجهة الثالثة من خدماته العلمية , فهي الكتابة والتأليف , وإن لم تسنح له فرصة كبيرة للاعتناء بهذا الجانب ؛ لأن حياته كانت حافلة بالجهاد والتضحية والبذل والعطاء , والنشاط الواسع في المجال الدعوي , ومع ذلك لا يستهان بقيمة ما قدمه من الخدمات العلمية للإسلام والمسلمين , وإنما هي جديرة بأن تُكتب بمداد من النور والذهب .

وكانت معظم كتاباته في الدفاع عن الإسلام والرد على شبهات أثيرت حول الإسلام من النصارى والهندوس وتفنيد أباطيلهم وترهاتهم , وفيما يلي تعريف موجز بمؤلفاته :

حجة الإسلام : هذا الكتاب يبحث في مقصود تخليق الإنسان , وتوحيد الألوهية والربوبية , والبعثة المحمدية , ودحض عقيدة التثليث , وإبطال الأقانيم الثلاثة وتأليه المسيح , وفناء الدنيا , واستقبال القبلة , وأسرار الركوع والسجود في الصلاة , وحكم الزكاة والصيام والحج , وعصمة الأنبياء , وحقيقة المعجزات , وبلاغة القرآن الكريم , وعقيدة ختم النبوة , وحقيقة الناسخ والمنسوخ , وتفضيل سيد الأبرار خاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين ρ على سائر الأنبياء , وتطابق أكل اللحوم مع الطبيعة الإنسانية , وما إلى ذلك من

---

(1) كان المطبع المجتبائي من أشهر المطابع في الهند , أسسه بادئ ذي بدء المنشيء ممتاز علي في " ميرٹھ " ثم تحولت ملكيته إلى الشيخ عبد الهادي ؛ ولما رجع المنشيء من الحج استأنف تأسيسه في دهلي قرب المسجد الجامع , ثم هاجر بعد زمان إلى مكة المكرمة , وباع المطبع من الشيخ عبد الأحد , قُسم المطبع بعد وفاة الشيخ عبد الأحد بين أبنائه , ولما هاجر أعضاء هذه الأسرة إلى باكستان انتهى دوره وغلقت أبوابه , طبع من هذا المطبع آلاف من الكتب بالعربية والفارسية والأردية وبخاصة كتب " المنهج النظامي " , لم يوجد له نظير بعد مطبع نول كشور على مستوى الهند في تفنن الطبع , وتنوع الموضوع , وتعدد الطبعات .

قضايا رئيسية ومهمة , وكتب كل ذلك مدعمًا بالدلائل وبأسلوب حكيم , وقد كتبت هذه المقالات المختلفة في الأصل لاجتماع كبير سمي بـ " معرض معرفة الإله " عقد بـ " شاهجهانفور " دعي إليه العلماء ورجال الدين من كل الأديان الموجودة في الهند آنذاك , فحضروا , وألقى كل واحد منهم كلماته حول حقانية دينه , ولما قام الإمام النانوتوي , وألقى حول ربوبية الله الواحد كلمات تاريخية أفحمت جميع الممثلين للنصرانية والهندوسية , فقطعت جهيزة قول كل خطيب , وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون .

انتصار الإسلام : كتب الفيلسوف الهندوسي ديانند سرسوتي [1] مؤسس فرقة من الهنادك وحركة تجديدية منها باسم "آريه سماج" [2] كتابًا ضد الإسلام , أورد فيه إحدى عشرة شبهة على الإسلام مما أثار ضجة في أنحاء البلاد , فجاء هذا الكتاب بردود عنيفة وواضحة على هذه الشبهات الوهمية , تحدث فيه المؤلف عن وجود الباري سبحانه وتعالى , ووجود الشياطين والجن والملائكة , والجنة

[1] ديانند سرسوتي سوامي (ت/1824 = 1883م) كان اسمه في صغره مول شنكر , ولد في موري إحدى ولايات كاتهياوار , وتعلم اللغة السنسكريتية بجهد بالغ , وقرأ فلسفة الهندوسية ثلاث سنوات تقريبًا على رِشي وَرجانند أحد خبراء الهندوسية , ثم أخذ في إصلاح الهندوسية , كان يعتقد الوحدانية , ويخالف عبادة الأصنام , كان يقول : ينبغي أن يتخذ الهندوس ديانة عصر " ويد " فإن ذلك كتاب غيبي وروحي , نقد في كتابه " سيته بركاش " على الديانات الأخرى , وأنشأ حركة تجديدية باسم " آريه سماج " عام 1857م .

[2] حركة هندوسية تجديدية في الهند برزت على الساحة عام 1857م , أسسها سوامي ديانند , قامت بنشر العلم والثقافة بالاستفادة من آثار إنجليزية وغربية , وخاصة بين أوساط النساء , كانت هذه الحركة تخالف توهمات الهندوسية , وأكبر أعمالها برزت في مجال التعليم بواسطة إنشاء المدارس والكليات العصرية باسم " ديانند أنكلو ويدك " , ومن معتقداتها أن تضحية الحيوان , وعبادة الأصنام والكهنة , وزواج الصغر , والطائفية و التفريق على أساس واللون والدم , كل هذا لا =

= يوافق منصب الأساقفة والكهنة وكبار رجال الدين , تعتقد كذلك أن إجلال البقرة من الدين وأن التناسخ حق , تدهورت هذه الحركة بعد استقلال الهند كثيرًا , وتحقق أن إصلاحات هذه الحركة لم تكن مؤسسة على دعائم قوية أو أصول ثابتة , وإنما كانت على أكداس من الأساطير والخرافات , فانطمست معالمها , واختفت أصواتها .

والنار , والمراد بخمر لذة للشاربين يشربها أهل الجنة في الجنة , وحقيقة النسخ في الأحكام الإلهية وحكمتها , وأولوية تدفين الموتى بدلا من إحراقهم , ووجود الروح وعالم البرزخ , وحِكم حرمة الحيوانات أو حلّها , وعدم كون غفران الذنوب بالتوبة مخالفًا للإنصاف وما إلى ذلك من قضايا عقدية منوعة , وأوضح كل ذلك في ضوء العقل والطبيعة الإنسانية .

التحفة اللحمية : يعتقد الهنادك والجينيون في الهند أن ذبح الحيوان وأكل لحومه ظلم وغير مستحسن عند العقل , وخلاف مقتضى الروح , رد الشيخ في هذا الكتاب على هذه العقيدة الزائفة من ناحية عقلية وطبيعية , وأثبت أن أكل لحوم الحيوان من طبيعة الإنسان .

البراهين القاسمية : جاء هذا الكتاب في الرد على شبهات فرقة " آريه سماج " يتضمن إثبات وجود الباري جل ثناؤه , وصفاته – نحو العليم والواحد وغيرهما – ونفي كون المادة قديمة , وكون القرآن الكريم كلام الله , وحيثية الأنبياء وختم النبوة بنوة خاتم الرسول سيدنا محمد ρ وما إلى ذلك من المباحث الكلامية , تناول كل ذلك بأسلوب علمي دقيق , وترتيب منطقي سليم , واستنتاج عقلي متين , والاسم الأصلي لهذا الكتاب " جواب تركي به تركي " الذي يعني " الجواب الواضح والمباشر " , قام بتسهيله الشيخ اشتياق أحمد باسم " البراهين القاسمية " .

قبله نما (الموجه إلى القبلة) : كان من شبهات ديانند سرسوتي أن المسلمين يسمون الهنادك بعبّاد الأصنام , وهم أنفسهم يسجدون لبيت من حجر ومدر , يعني بها الكعبة البيت الحرام , فرد الشيخ في هذا الكتاب على هذه الشبهة , وبيّن الفروق الجوهرية بين عبادة الأصنام واستقبال القبلة من ناحية عقلية .

تقرير دلبذير : (الخطاب الأخاذ بمجامع القلوب) هذا الكتاب من أهم تأليفاته , وكُتب من وجهة النظر الدعوية , والمباحث التي سلَط الضوء عليها

في هذا الكتاب هي كما يلي : وجود الباري , كون عقيدة التثليث وعبادة الأصنام مخالفةً للعقل والطبيعة , الإنجيل المحرف , فناء الدنيا , وجود الجنة والنار والملائكة والشياطين , خالق أفعال العباد هو الله , مسألة القدر , أسباب وقوع النسخ في الشرائع السماوية , وحقيقة الحسن والقبح في الأعمال , الصفات الإلهية , إمكان قيام الساعة , وما إلى ذلك من المباحث العقائدية .

آب حيات (ماء الحياة) : من شبهات الشيعة القديمة أن الشيخين رضي الله تعالى عنهما ظلما فاطمة الزهراء سيدة النساء , واعتديا عليها إذ لم يورثاها أرض تبوك , وهذا الكتاب في الأصل رد على هذه الشبهة , ووجهة نظره في ذلك أن النبي ρ لا يزال حيًّا في قبره , ولا يجري الإرث في أموال الأحياء , ولذلك لا يورث مال من أموال رسول الله ρ .

توثيق الكلام : كان بعض الناس يقولون إن صلاة من لا يقرأ الفاتحة خلف الإمام فاسدة , فأتى الشيخ في هذا الكتاب بدلائل وبراهين من الكتاب والسنة مع شواهد عقلية , ورجح رأي الحنفية بوضوح , ولكن بتوسط واعتدال .

مكاتيب ورسائل : طبع من مكاتيبه حتى الآن تسع مجموعات , وفيما يلي أسماؤها :

1- المكاتيب القاسمية
2- الفيوض القاسمية
3- اللطائف القاسمية
4- جمال القاسمي
5- الحق الصريح
6- تحذير الناس

7- أسرار القرآن
8- الفرائد القاسمية
9- تصفية العقائد

وقد اعتنى بها تلاميذه وأتباعه وقاموا بترتيبها , وقد رد في هذه المكاتيب والرسائل على الشيعة , والمبتدعة الغالين , والعقلانيين , ودحض أكاذيبهم ومفترياتهم , وفي بعضها ردود على فرقة ترى أن الصلاة تفسد بدون قراء ة الفاتحة خلف الإمام , وأن عشرين ركعة من التراويح لم تثبت بحديث مّا .

وقصارى القول أن الموضوع الرئيسي لكتاباته هو " علم الكلام " , ومقاومة الغزو الفكري على الإسلام , وحاول محاولة مشكورة في تفهيم العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية في ضوء العقل والمصلحة , وحقق في ذلك نجاحًا كبيرًا .

الإنجليز يريدون تنصير الهنود :

حينما قوي احتلال الإنجليز في الهند وترفرفت راية السلطة البريطانية على دهلي سنة 1857م , لم يجدوا سبيلاً إلى إزعاج المسلمين إلا وقد أتوه , حتى آل الأمر إلى أنهم حاولوا مساومة المسلمين على إيمانهم علنًا وجهارًا , بل كانت هذه الخطة مرسومة في أذهان أرباب السلطة البريطانية , واستولت على أفكارهم وامتزجت بلحمهم ودمهم , ذكر المفكر المسلم الهندي الشهير " سر سيد أحمد خان " – وكان ممن له صلة وطيدة بالإنجليز – عن رسالة صدرت من كولكاتا من قبل الأسقف المسيحي إلى إيدمند عام 1855م , وأرسلت إلى جميع الموظفين في الحكومة , ومن محتوياتها ما يلي :

"توحدت الحكومة في سائر أنحاء الهند , واتفقت الأنباء بواسطة البرقيات في كل مكان , فليتوحد الدين والنظام أيضا , وينبغي أن تكونوا على دين واحد وهو المسيحية "

وقد قال سر جارلس– وكان من أهم أعضاء المجلس الأعلى للهند آنذاك – :

" كنت مؤملا أن أهل الهند يدخلون في الدين المسيحي على بكرة أبيهم , كما

دخل فيه أصحابنا قاطبة بالأمس دفعة واحدة "[1] .

وقال المستر مينكلس أحد أعضاء البرلمان البريطاني في سنة 1857م , وكان يخاطب دار العوام :

" ينبغي أن يسعى كل شخص جاهدًا ويصرف همته وعزيمته في تنصير الهند بأسرها , وإنه لجهد لو تعلمون عظيم "[2] .

وكان المسلمون هم العقبة الكؤود عندهم في عملية تنصير الهنود , والقرآن الكريم هو العرقلة الكبيرة في دعوة المسلمين إلى النصرانية , كما يظهر من بيان هنري طامس , فهو يقول :

" لا يمكن أبدًا أن يكون المسلمون شعبًا صالحًا لحكومة لا تدين بدينهم , فلا يمكن تنصير المسلمين وفيهم كتاب الله "[3] .

وليس هذا مجرد كلمة خرجت مِن في هنري طامس فجأة , ولا هي كلمة هو قائلها وحده ؛ وإنما قالها كيد إستون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق قبله , فقد قال – وكانت يده النجسة تمس القرآن – :

"إن الدنيا لا تكون متحضرة ما دام هذا الكتاب باقيًا في الدنيا"[4] .

والحاصل أن الإنجليز كانوا يريدون أن يتفرنج أهل الهند جميعًا من حيث القوم , ويتوخون إعادة تاريخ الأندلس في هذه البلاد , فكانت الحكومة تستعين في ذلك بإطماعهم في الوظائف والأموال , وفي جانب آخر , كان المبشرون المسيحيون يدعونهم إلى الردة في كل بلدة وقرية , فلم يخضع العوام لهذه الدعوة فحسب , بل أصبح بعض المسلمين المثقفين – وكانوا طامعين في حطام الدنيا , ضعاف العقيدة والإيمان – عرضةً لهذه الدعوة ؛ بل وأصبحوا قسيسين رهبانًا , ومبشرين ودعاة إلى غير الله , اتباعا لأهواء قوم قد ضلوا من قبل , وأضلوا كثيرًا , وضلوا عن

---

(1) المستقبل الزاهر للمسلمين : ص : 143

(2) حكومة الاستقلال : ص : 136

(3) حكومة الاستقلال : ص : 55

(4) كلمة الرئاسة : ص : 15 , اجتماع عام للمؤتمر التعليمي لعموم الهند , عليكره

سواء السبيل .

جهود الإمام في هذا الميدان :

وقف الإمام محمد قاسم النانوتوي في وجه هذه الفتنة سدًا منيعًا , ووصد دونها الأبواب , إنه تكلم في تأليفاته عن عقيدة التثليث , والأقانيم الثلاثة , وعقيدة الكفارة , ودعوى النصارى أن المسيح ابن الله وأن الكتاب المقدس قد وقع فيه التحريف , وذكر إيضاحات العهدين الجديد والقديم في هذا الصدد , كما أثبت بعثة النبي ρ و فضيلته على سائر الأنبياء وما إلى ذلك مستدلاً بالكتاب المقدس , والعقل والفطرة الإنسانية , وأتى بدقائق علمية , قلّما توجد في غيرها .

معرض معرفة الإله :

وعلى مستوى الجماهير تعقب أساقفة النصارى في كل مكان لمقاومة هذه الفتنة على أوسع نطاق وأبعد مدى , ورد على تساؤلاتهم ردًّا دامغًا , فأفحمهم ولم يجدوا جوابًا , حتى اعترفوا بأخطائهم وزلاتهم , أو ولوا من ميدان المناظرة مدبرين , وخسروا في مضمار الرهان , وفي عام 1876م حرض الأسقف البريطاني " نولس " المنشئ بياري لال كبير رئيس بلدة تشاند فور بمديرية شاهجهانفور على عقد اجتماع كبير فسح فيه المجال للهنادك والنصارى والمسلمين أن يثبتوا صدق دياناتهم , وسمي هذا الاجتماع بـ " ميله خدا شناسي " (معرض معرفة الإله) حضره الإمام محمد قاسم النانوتوي وتلاميذه والشيخ أبو المنصور الدهلوي بصفتهم ممثلين للمسلمين , ومن قبل النصارى اشترك فيه الأسقف إسكارت , والأسقف باكر والأسقف محي الدين , كما حضره الفيلسوف الهندوسي ديانند سرسوتي , والمنشئ بياري لال , والكاهن الهندوسي إندرمن وغيرهم من الهنادك , وقد اجتمع بهذه المناسبة حشد كبير من جماهير الديانات المختلفة , واضطُر الممثلون المسيحيون إلى الاعتراف بالتحريف في الكتاب المقدس , وأُفحموا عدة مرات أمام الجماهير في هذه المناقشات التي جرت ثلاثة أيام , حتى ولوا مدبرين قبل انتهاء الوقت , وخرجوا أذلة صاغرين , والأسقف البشاوري محي الدين –

وكان يعتبر مناظرًا مسيحيًا طليق اللسان – تاب من المسيحية , ودخل في حظيرة الإسلام مرة ثانية , وعادت ثقته بالإسلام مما عرف من الحق .

عقد هذا المعرض أو الموسم الثقافي في السنة المقبلة في 19 و20 من مارس عام 1877م وألجأ الإمام النانوتوي بفصل خطابه وفضل إخلاصه الصديق والعدو على السواء إلى الاعتراف بانتصار الإسلام , وكان لهذه المعارض الدينية صدى في سائر أنحاء الهند , وكان انتصار الإسلام جليًّا واضحًا على أتباع الديانات الأخرى , ولم يعد بإمكانهم أن ينكروا هذه الحقيقة , وأعادت هذه الظاهرة إلى المسلمين الثقة بأنفسهم والاعتزاز بدينهم , وطفق المبشرون والدعاة المسيحيون يفزعون من علماء المسلمين , وترتعد فرائصهم وتقشعر جلودهم بأسماء هؤلاء .

وأما الفتنة الثانية التي كان المسلمون يواجهونها في ذلك الحين هي دعايات الهندوس ضد الإسلام وخاصة فرقة " آريه سماج " التي أنشأها دياناند سرسوتي , الذي كتب كتابًا باسم " ستيه بركاش "، طبع في بنارس عام 1875م , أفرد فيه بابًا لشبهات حول القرآن الكريم , ولم يدع سورة من سور القرآن إلا وقد جاء فيها بتلبيسات وشبهات وهمية , وكانت كلماته تضرم النار في الهند بكاملها , زد إلى ذلك كتبا عدوانية للفاضل الهندوسي اندر مَن المراد آبادي الذي كان متضلعًا من الأردية والفارسية , وكانت هناك مجلة باسم " آريه سماجار " (أنباء آريه) تصدر من قبل " آريه سماج " , تدعو المسلمين إلى الردة , وتستخدم أسلوبًا يسيء إلى الإسلام ورسول الإسلام محمد ρ , في هذه الأوضاع الحرجة عقد " معرض معرفة الإله " في السادس من مايو عام 1876م , حضره عدد لفيف من فرقتين كبيرتين للهنادك " آريه سماج " و " سناتَن دهرم " [1] علاوة على النصارى , ذاع صيت هذه المناظرة إلى كل حدب وصوب , وذلك لأجل الهجوم العدواني على الإسلام , وفيما يلي محاور هذه المناظرة :

---

(1) سناتن دهرم : وهي في الحقيقة ديانة " الهندوسية " , ديانة ترتبط بتراث الهند , ومنها استمدت اسمها , كانت تسمى قديمًا , درما Dharma ، وسميت بعد ذلك سانتانا Santana ثم تحولت تدريجيا إلى كلمة " الهندوسية " , وباتت تشمل كل ما يتعلق بالهند من دين وحضارة وعادات وتقاليد , والهندوس يؤمنون بتعدد الآلهة , ولا مكان

1) بأي شيء خلق الخالق هذه الدنيا , ومتى ؟ ولماذا ؟
2) هل كان ذات الخالق محيطًا للكل أم لا ؟
3) كيف يمكن أن يكون الخالق الواحد عادلاً ورحيمًا في آن واحد ؟
4) ما هي الأدلة على كون كتب " ويد " و " العهدين القديم والجديد " و" القرآن الكريم " أنها كتب الله ؟ "
5) ما هي النجاة ؟ وكيف الوصول إليها ؟

لم يرد الشيخ على هذه الأسئلة ردًّا مسكتًا , وأثبت تفوق الإسلام على الهندوسية والمسيحية فحسب ؛ بل أجاب عن كثير من شبهات تُثار من قبل الهنادك , وحيثما وصل خبر هذه المناظرة استنهض همم المسلمين .

مناظرة " رركي " :

هناك مدينة تسمى " رُركي " في المناطق الغربية من الهند , في يوليو سنة 1878م بدأ ديانند سرسوتي يخطب فيها , ويبث السموم في المجتمع , انطلق الإمام إلى هذه المدينة , وطلبه للمناظرة , وألح عليه عدة أيام , ولكنه رفض ذلك , وألقى معاذيره , وفي نهاية الأمر أقام الإمام هناك اجتماعًا عامًا , وخاطب الناس ثلاثة أيام على التوالي حول حقانية الإسلام وبطلان الديانة الهندوسية , وكانت لسرسوتي إحدى عشرة شبهة يرددها في كل مكان , فأجاب الإمام عنها , وطبع هذه الإجابات تلميذه الرشيد الشيخ فخر الحسن الكنكوهي باسم " انتصار الإسلام " , كان سرسوتي لم يجرؤ على مواجهة الإمام , ولكنه تصدى لإضلال المسلمين بغير علم , وبدأ يستهدف الإسلام بهرائه , وأطلق لسانه فيه إطلاقًا شنيعًا , فتعقبه

عندهم لعقيدة التوحيد , وتعدد الآلهة عندهم يبدأ من أصل هو التثليث , وثالوث الآلهة الأساس هو : برهما , فشنوا (وشنو) , شيفا (فهيش) , ومجتمع الهندوس حسب شريعتهم من أربع طبقات : البراهمة , كشاتريا , الويش , الشودر , أما الأول فهم الكهنة والقيادة الدينية , والويش طبقة تؤمن الأمن الغذائي , والشودر هي أدنى طبقات المجتمع , وأبناؤها أشبه ما يكونون بالعبيد وواجبهم الخدمة .

الإمام , وقعد له كل مرصد , وحيثما يبلغ الإمام , يلوذ هذا الكاهن الهندوسي بالهروب والفرار , وقد مثلت هذه الظاهرة دورًا كبيرًا في وقف التيار الجارف للارتداد والإلحاد .

رده على الشيعة :

ومن أعماله المهمة من ناحية الدفاع عن الدين رده على الشيعة , فقد صنف كتابًا حول هذا الموضوع باسم " هدية الشيعة " في مجلدين , وألقى الضوء على فضيلة الشيخين , وأن الأزواج المطهرات من أهل البيت , وعقيدة البداء والإمامة , وتحريف القرآن , وسب الصحابة الكرام , والتقية والمتعة , وواقع القرطاس , وأرض فدك , وعقد سيدتنا أم كلثوم [1] وما إلى ذلك من القضايا المهمة , وطرح اثني وأربعين سؤالاً على مذهب الشيعة , يبدو من هذا الكتاب أن نظراته كانت عميقة في مصادر الشيعة , واتخذ فيه أسلوبًا لينًا وحكيمًا , لكي يهتدي أهل الشيعة ويرجعوا إلى الحق , ويتخذوه سبيلاً , فقد تاب كثير من الشيعة بعد قراءة هذا الكتاب والاستماع إلى كلماته من معتقداتهم , وكانت للرد على الشيعة أهمية كبيرة آنذاك , وذلك لأجل أن الشيعة كان لهم تدخل كبير في كثير من الحكومات المسلمة الصغيرة , ويصدر القضاء بإيعاز منهم , وكان الزواج بين أهل السنة والشيعة سائدًا , مما يحدث آثارًا سلبية على الحياة العملية للمسلمين وأفكارهم , ويضرّ بهم من ناحية سياسية أيضا .

جهوده في تأسيس حركة المدارس الدينية :

إن نور الإسلام سطع في الهند في حياة النبي ρ – فيما يُروى –، فقد أخرج أبو أحمد الحاكم النيسابوري – وصححه – بسنده عن أبي سعيد الخدري τ أنه قال :

" أهدى ملك الهند إلى رسول الله ρ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة

---

(1) هي أم كلثوم بنت رسول الله ρ , قيل : إنها ولدت بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها , وأسلمت مع أمها وأخواتها مع بزوغ فجر الدعوة الإسلامية , هاجرت مع أختها فاطمة الزهراء وزوجة الرسول ρ سودة بنت زمعة , فاستقبلهن الرسول ρ , وأتى بهن إلى داره التي أعدها لأهله بعد بناء المسجد النبوي الشريف , تزوجها عتيبة بن أبي لهب قبل الهجرة وطلقها تنفيذًا لرغبة أبي لهب , ولم يدخل بها , ولما توفيت شقيقتها رقية , زوج رسول الله ρ أم كلثوم عثمان رضي الله تعالى عنهما في ربيع الأول سنة 3 للهجرة , توفيت في شهر شعبان سنة 9 من الهجرة.

قطعة , وأطعمني منها قطعة" [1] .

وذكر الرحالة والبحار الشهير بزرك بن شهريار [2] في كتابه " عجائب الهند " [3] :

" أنه توجه مع وفد تلقاء الحجاز من سرنديب (منطقة ساحلية من الهند , تغير اسمها بـ "سريلانكا " [4] بعد) للتنقيب عن شيء , ولكن لم يبلغ الحجاز حتى توفي النبي ρ وسيدنا أبو بكر τ بعده , وصادف هذا الوفد عهد أمير المؤمنين سيدنا عمر τ , فعرض عمر عليه الإسلام وشرحه مفصلا فبيّنه .... " [5] .

ولكن قدوم المسلمين إلى الهند من الجهة الغربية سجله التاريخ بوصول الجيش تحت قيادة محمد [6] بن قاسم إلى السند سنة 93 هـ الموافق 711م , فقامت للمسلمين دولة ,

---

(1) المستدرك على الصحيحين , برقم: 7190 , المعجم الأوسط للطبراني , برقم: 2416 , مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(2) بزرك أويزرك أو يزدك بن شهريار الناخداه الرامهرمزي صاحب كتاب " عجائب الهند " لعله عاش ما بين منتصف القرن الثالث والرابع الهجري , جاب البحار , ودوّن ما صادف من مواقف وقصص في كتابه .

(3) كتاب معروف باسم " عجائب الهند (بره وبحره وجزائره) , طبع سنة 1886م في مطبعة بريل في مدينة لايدن مع ترجمة فرنسية , توجد هذه النسخة في مكتبة آيا صوفيا بإسطنبول (تركيا)، كما طبع بمصر في 1908م وقد طبع أخيراً من المجمع الثقافي بتحقيق عبد الله محمد الحبشي في 612 صفحة , يعد من أشهر كتب التراث في الرحلات , زاخر بالحكايات البحرية المليئة بالمخاطر والأهوال , صنفه بزرك بن شهريار في حدود سنة 339هـ = 950م، غير أن الحكايات الواردة في هذه الرحلة هي من قلم قبطان بحر مجهول الاسم , لكن فائدتها كبيرة لمعرفة أحوال شطوط إفريقيا الشرقية وشطوط جزيرة العرب الجنوبية وجزائر بحر الهند والصين وما إلى ذلك .

(4) سريلانكا : جزيرة جميلة في المحيط الهندي , تقع على بعد 2 , 3 كم من الساحل الجنوبي الشرقي للهند , واسمها الرسمي جمهورية سريلانكا الديمقراطية الاشتراكية , وكانت سابقًا تعرف بسرنديب (Ceylon) , وعاصمة سريلانكا هي ميناء كولومبو المزدحم بالسكان , وأكثر سكانها سلالات الميتاهل والتاميل , تبلغ نسبة البوذيين هنا 69٪ والهندوس15٪ , أما المسلمون فتبلغ نسبتهم 8٪ من السكان .

(5) عجائب الهند : ص : 157.

(6) محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي فاتح السند وواليها (22-98هـ = 81-717م) , من كبار القادة ومن رجال الدهر في العصر المرواني . ويعينه حمزة بن بيض الحنفي بقوله :

إن المروءة والسماحة والندى ≅ لمحمد بن قاسم بن محمد

وكانت لهم جولة وصولة , وبقيت حكومتهم منذ ذلك اليوم إلى 1867م بين حكومات كبيرة وصغيرة ومستقلة وتابعة , وأما الإنجليز فقد وطأتها أقداهم لأول مرة بعدهم بقرون , وبدأوا يحتلون منطقة بعد منطقة ويسيطرون على إقليم تلو إقليم , حتى نصب العلم البريطاني على القلعة الحمراء بدهلي عام 1857م , وألقي القبض على آخر أباطرة المغول بهادر شاه ظفر [1] , وقضي على أربعة عشر أميرًا مغوليًّا بالإعدام في يوم واحد فقط , وكان الإنجليز يستهدفون جميع سكان الهند بظلمهم واعتدائهم , ولكن المسلمين هم ضحيته الأولى , يقول أحد المؤرخين :

" وكان من ديدن الإنجليز أنهم يعتبرون المسلمين جميعًا بغاة , فكان أحدهم لا يمر به هندي إلا ويسأله : أنت هندوسي أم مسلم ؟ فإذا كان جوابه أنه مسلم أطلقه بالرصاص " [2] .

ويقول المؤرخ الآخر :

" إن سبعة وعشرين ألفًا من المسلمين قتلوا شنقًا , ودامت مجازر رهيبة سبعة أيام متواليات , ووقع الناس فيها بين جرحى وصرعى , لم يسجل التاريخ عددهم , بل أربى على العد , وأما السلالة التيمورية فكأنهم سحقوها في زعمهم سحقًا واستأصلوا شأفتها وطمسوا معالمها , وأتوا على الأخضر

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة ≅ يا قرب ذلك سؤددًا من مولد

ولى الحجاج محمدًا ثغر السند في أيام الوليد ابن عبد الملك , قاتله داهر (ملك السند) فقتل داهرًا , وفتح " دبيل " , وانبسطت يده في البلاد فتحًا وتنظيمًا .

(1) هو أبو ظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظفر (1775 – 1858م) كان آخر أبا طرة مغول الهند , وقد أصبح إمبراطورًا عند وفاة والده أكبر شاه الثاني عام 1254هـ = 1838م , وكان الإنجليز في عهده قد أحكموا سيطرتهم على البلاد , فسياستهم لا تزال قائمة على جعل أعمال الحكومة في أيديهم في حين يبقى الحكم باسم السلطان المسلم , وقد نفي إلى مدينة رنكون عاصمة بورما , وتم تنفيذ النفي عام 1858م بعد ثورة 1858م , حيث مات ودفن , وكان بهادر شاه شاعرًا مُجيدًا , فاضت قريحته أسى وحزنًا على ما وصل إليه , وما آلت إليه دولته , يعد من كبار شعراء أردو .

(2) عروج السلطة الإنجليزية : ص : 712

واليابس , وقتلوا الأطفال وعاملوا النساء معاملة همجية لا توصف , يكاد يرتجف بخيالها القلب" [1] .

لم يكن الإنجليز يحلم بإحكام سلطتهم السياسية في الهند فحسب , وإنما كان جل اهتمامهم بجذب سكان الهند إلى المسيحية شيئا فشيئا , حتى قال عضو من أعضاء البرلمان البريطاني وهو يخاطب دار العوام :

" إن الله تعالى منَّ علينا بأن جعل الحكومة الهندية تحت سلطة إنجلترا , وذلك لكي يترفرف علم اليسوع المسيح على الهند من أقصاها إلى أقصاها , فينبغي لكل إنجليزي أن يحاول في سبيل تنصير الهنود , ولا يألو في ذلك جهدًا " [2] .

وانطلاقًا من هذا المبدأ نشطت جماعات التبشير في جانب , وفي جانب آخر , رسموا خطة لإنشاء نظام تعليمي جديد , وكتب اللورد ميكال (Lord Michyle) أحد خبراء التعليم من الإنجليز في تقرير له :

" إن الغرض من خطبتنا التعليمية هو إنشاء جيل من الهند , يكون هندي النسل واللون , والجنسية والدم , وأوربي الفكر والذهن , والنطق والفهم ".

وكتب هذا الخبير التعليمي في الثاني عشر من أكتوبر سنة 1836م في كتاب له إلى أمه :

" إنني على يقين أنه لو نفذت هذه الخطة التعليمية التي رسمتُها يميني تنفيذًا كاملاً , لا يبقى هنا أحد من عباد الأصنام غير مسيحي في حدود ثلاثين عامًا على أكثر تقدير "

تأسيس الجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند :

---

[1] قيصر التواريخ : 454/2

[2] سيرة الشيخ محمد علي المونجيري : ص : 42

في هذه الأوضاع الحرجة والظروف القاسية شعر الإمام محمد قاسم النانوتوي أن سلطة المسلمين قد أفل نجمها وغربت شمسها في هذه البلاد , يخشى عليهم – ولا قدر الله – أن يحرموا رصيدهم الإيماني , وتنقطع صلة هذه البقعة من النبي العربي ρ , فقام بتأسيس الجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند برفاقه وأصحابه , ولم يكن الغرض المنشود من تأسيس هذه القلعة الإسلامية إنشاء مؤسسة أو مدرسة فحسب , وإنما كان أجلّ من ذلك وأعظم , وهو الحفاظ على الإسلام والدفاع عن حياض الشريعة الغراء , ولما كان من المصلحة أن يكون ذلك في خفاء من أنظار الحكومة , وضع حجرها الأساسي في بلدة " ديوبند " [1] تبعد مائتين كم تقريبًا من دهلي بدلاً من دهلي عاصمة الهند , وممن ساعده في إنشاء هذا المعهد العلمي الذي يستحق أن يسمى " أزهر الهند " الحاج سيد محمد عابد [2] , والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي [3], والشيخ فضل الرحمن العثماني [4] وغيرهم , إنه افتتحه في يوم الخميس

---

(1) بلدة ديوبند بمديرية سهارنفور شمالي الهند بولاية أترا براديش على بعد 150 كم من دهلي عاصمة الهند , وعدد سكان ديوبند حسب إحصائيات (2001م) 161,706 .

(2) سيد محمد عابد : من أجل خلفاء الحاج إمداد الله المهاجر المكي (1250-1331هـ = 1824-1912م) أحد أتقياء ديوبند آنذاك , تدارس الأمر مع الإمام في إنشاء مركز إسلامي , وساهم في تشييد دار العلوم /ديوبند , واختير أول مدير لها , كان عابدًا زاهدًا تقيًّا ورعًا , ذا همة عالية , وموثوقًا به , متفقا عليه , فإنه عين مدير الدار العلوم ثلاث مرات , ومجموعة مدة إدارته عشر سنوات , وصُنف في ترجمته " تذكرة العابدين " .

(3) هو الشيخ ذو الفقار علي والد الشيخ محمود حسن الديوبندي (ت/1322هـ = 1904م) , قرأ على الشيخ مملوك العلي النانوتوي , وعين كَبر , وفيسر في كلية بريلي , ثم اختير رئيس قسم التعليم , كان له القدح المعلي في الأدب العربي , قام بتسهيل الحماسة باسم " تسهيل الدراسة " وتسهيل ديوان لمتبني وغيرهما , كما ألف رسالة حول تراجم مشايخ دار العلوم /ديوبند , وأسماها " الهدية السنية في ذكر المدرسة الإسلامية الديوبندية " .

(4) هو الشيخ فضل الرحمن العثماني (ت/1325هـ = 1907م) درس على الشيخ مملوك العلي النانوتوي في كلية دهلي , كان من مؤسسي دار العلوم , وظلّ عضوًا لمجلسها التنفيذي طويل حياته , كان عالما شغوفًا بالعلم , شاعرًا قديرًا بالفارسية والأردية , وظل رئيس قسم التعليم للمدارس في بريلي , وبجنور , وسهارنفور مرة بعد أخرى , خلفه أبناؤه الشيخ المفتي عزيز الرحمن العثماني رئيس المفتين بدار العلوم , والشيخ حبيب الرحمان العثماني مدير دار العلوم , والشيخ شبير أحمد العثماني رئيس ومدير دار العلوم , ومن أحفاده الشيخ المفتي عتيق الرحمن العثماني الرئيس الأسبق لندوة المصنفين بدهلي وغيرهم من جلة العلماء والقادة الذين لهم دور كبير في مجال العلم والسياسة.

الخامس عشر من محرم الحرام عام 1283 ه الموافق 30/ مايو 1866م بفناء مسجد يسمى " مسجد جهته " في ظلال شجرة الرمّان , وتحت السقف المحفوظ من السماء , وما كان لديه دينار ولا قنطار , ولكن كان يحدوه الأمل , والثقة بالله , والشوق إلى إعلاء كلمته , والتفاني في سبيله , عين فيه أستاذ , وأُدخله طالب , وكان اسم كليهما " محمود " [1] وهذا هو محمود الطالب الذي لقب فيما بعد بـ " شيخ الهند " وقاد كفاح التحرير , ولما أخبر الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي القائد الروحي للإمام النانوتوي – وكان نزيل مكة المكرمة آنذاك – بتأسيس هذه المدرسة قال :

> " سبحان الله ! تزعم أنك أسست مدرسة , ولا تدري كم من جباه سجدت وعيون بكت بالأسحار , ودعت تحت جنح الظلام أن هيئ اللّهم وسيلة بقاء الإسلام والحفاظ على العلم في الهند , فالواقع أن المدرسة ثمرة هذه الأدعية والمناجاة " [2] .

هذا الكتاب يوضح مرامي تأسيس هذه المدرسة وهي بذل الجهود في بقاء الإسلام والسهر على العلم , فالذي يظن أنها مدرسة أقيمت بديوبند , يدخلها الطلبة ويتخرجون , وليس وراء ذلك غاية فإنه على خطأ ؛ بل إنها كانت حركة جليلة الشأن , تهدف إنشاء مراكز إسلامية في شتى أنحاء البلاد , تؤدي فريضة صيانة الإسلام في كل حين وآن , ولا تتغافل عنها في حين من الأحيان , وتمثل الإسلام في كل صغير وكبير , وتوفر الموارد البشرية ؛ فقد قام الإمام بإنشاء مدرسة كبيرة في مراد آباد بعد ديوبند , أسماها الناس بعد بـ "الجامعة القاسمية " (مدرسة شاهي) [3] بمسجد ملكي وأنشئت غيرها من المدارس والمعاهد الدينية بتهانه بهون ,

---

(1) أما محمود الطالب فقد تقدم ذكر ه وهو " شيخ الهند " وأما محمود الأستاذ , فهو الشيخ الملاّ محمود , وكان من أهالي قرية ديوبند ومدرسًا بارعًا , يدرس في بلدة ميرتھ , أرسله الإمام النانوتوي إلى دار العلوم , وكتب إلى الشيخ محمد عابد أن ابدؤوا نشاطات تعليمية ولا ترتقبوا قدومي ؛ فإن الشيخ يكفي مؤنتي إن شاء الله .

(2) تاريخ دار العلوم بديوبند :149/1

(3) الجامعة القاسمية (مدرسة شاهي) أسست عام 1296هـ بمدينة " مراد آباد " بولاية أترابراديش بإيعاز من الإمام النانوتوي , في مسجد ملكي , تطورت تطورًا كبيرًا , ولا تزال تعمل كذلك , وهو من أشهر المدارس الدينية التي

وكلاوتهي بمديرية بلند شهر , وكرانه بمديرية مظفرنجر , ودان فور بمديرية بلند شهر وأمبيتهه , وسهارنفور وميرٹھ وغيرها , وفي تلك الأيام أنشئت بقرب ديوبند مدرسة مظاهر العلوم [1] بسهارنفور , ومدرسة " الباقيات الصالحات [2] " بمدينة " ويلور " إحدى مدن جنوب الهند , وأسس الشيخ أنوار الله الشاه الفاروقي[3] فضيلت جنك مُجاز الحاج إمداد الله المهاجر المكي "الجامعة النظامية " [4] بحيدر آباد , كما قام مجازه الآخر الشيخ منور علي [5] بتأسيس "المدرسة الإمدادية " في مدينة " دربهنجه " إحدى المدن القديمة , بمناطق شرقية من الهند ,

---

أقيمت في بداية الحركة وأوسعها نفعًا بعد دار العلوم ومظاهر العلوم سهارنفور , حظيت بخدمات جلة العلماء أمثال الشيخ عبد الحق المدني , والشيخ فخر الدين أحمد والشيخ سيد محمد ميان .

(1) أسس مدرسة مظاهر العلوم في سهارنفور الشيخ سعادة السهارنفوري عام 1283ه , وتعد الآن من كبرى المدارس الإسلامية في الهند , لها تاريخ مشرف في خدمة الحديث النبوي الشريف في كثير من مجالاته , إليها ينتمي الشيخ خليل أحمد السهارنفوري , والشيخ محمد يحي الكاندهلوي , والشيخ زكريا الكاندهلوي , وغيرهم , تلي دار العلوم الديوبندية في كثرة الطلبة والاعتناء بالعلوم الدينية , وهي تشارك دار العلوم في العقيدة والمبدأ و الشعار .

(2) مدرسة قديمة في ويلور بجنوب الهند حيث يلاحظ في المسلمين شغف عظيم وولوع بالتعليم الديني .

(3) هو الشيخ محمد أنوار الله بن أبي محمد شجاع الدين العمري (1264 – 1336ه) , الأصولي المتكلم , الداعي الرباني , والعالم المخلص , وكان من خلفاء الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي , أسس " المدرسة النظامية بحيدر آباد , أخذ التفسير عن الشيخ عبد الله اليمني , كما درس الفقه والمعقول على الشيخ عبد الحي اللكنوي , ولازمه مدة طويلة , لقب ب" خان بهادر " في العهد الآصفجا هي بدكن , مؤلفاته تبلغ نحو ثلاثين بالأردية والعربية وأشهرها : " منتخب الصحاح " و " حقيقة الفقه " , و" كتاب التوحيد " .

(4) الجامعة النظامية : أسست على يد الشيخ محمد أنوار الله العمري في حيدر آباد عام 1292ه , وأصبحت الآن كبرى الجامعات في جنوب الهند , تسير وفق المنهج النظامي , ومن أشهر خريجيها الشيخ أبو الوفاء الأفغاني , والدكتور محمد حميد الله وغيرهم , والجدير بالذكر أن معظم المصححين والباحثين بدائرة المعارف العثمانية , كانوا من خريجي الجامعة النظامية .

(5) هو الشيخ الحاج منور علي النستوي الدربهنكوي (ت/1318ه = 1900م) ولد في قرية " رسول فور " بمديرية " دربهنكا " , كان من مسترشدي الحاج إمداد الله المهاجر المكي , وخلفائه في الإرشاد والتلقين , قضى في الحجاز ثمانية أعوام برفقة شيخه , ولما رجع إلى الهند أنشأ " المدرسة =

= الإمداية " باسم شيخه عام 1311ه = 1893م , وكانت أول معهد ديني في هذه المنطقة بدأت صغيرة كأخواتها , ثم توسعت فنقلت إلى " لهرياسرائي " (دربهنكا) نظرًا إلى كثرة عدد الطلبة وضيق المكان , تخرج في هذه المدرسة عدد كبير من أفاضل العلماء والصالحين , ولا تزال المدرسة تعمل وخليتها تعسل .

والشيخ عبد الغفار السرحدي [1] بتأسيس " المدرسة القاسمية الإسلامية " في مدينة " غيا " إحدى المدن القديمة التاريخية لولاية بيهار عام 1295 هـ الموافق 1877م , والحقيقة أن هذه وأمثالها من المدارس [2] والمعاهد العلمية التي أسست في ذلك الحين كانت تستنير بالفكرة القاسمية .

موارد مالية للمدارس :

وكانت المدارس في الهند وفي غيرها من بلدان العالم تعتمد حتى الآن على مساعدة حكومية أو دعم شخصي من أحد علية القوم , ولكن الإمام النانوتوي أعطى لأول مرة صورة صادقة لمؤسسة دينية تكون منطلقة من نفوذ الحكومة , حتى تمثل رسالة خالصة من شوائب الرياء والسمعة , ويتخرج فيها رجال لا يتمكنون من العلم والفن فحسب ؛ وإنما يكون لهم من الصلة بالله , والحمية الدينية والغيرة الإسلامية حظٌّ وافرٌ وقسطٌ موفورٌ , فعين الإمام ثمانية مبادئ خطية لدار العلوم , ومنها أن تحفظ المدارس من تدخل الحكومة والوزراء , ولا يقبل دعم مالي إلا من أناس لا يريدون من ذلك جزاءًا ولا شكورًا , ولا ذيوع السمعة الطيبة بين الناس , وإليكم بند من بنود تلك المبادئ الثمانية :

" ما دام لم يوجد سبيل الموارد المالية لهذه المدرسة , تعمل بعناية من الله وفضله , ولونحصل على مورد مالي مثل العقار أو الشركة أو التجارة أو

---

[1] هو الشيخ عبد الغفار السرحدي (ت/ 1334هـ) كان من خلفاء الحاج إمداد الله المهاجر المكي , ينتمي إلى المناطق القبلية لولاية سرحد , هاجر إلى " غيا " (بيهار) , وأسس هناك المدرسة القاسمية الإسلامية , كان مدرسًا ماهرا تلمذ على يديه الكثير من العلماء من منطقته ،ولا تزال هذه المدرسة تؤدي دورها الريادي في ولاية بيهار , وبلغ عدد فروعها إلى مائة في ولايات بيهار وأريسه وجارخند في عهد مديرها الثالث الشيخ فخر الدين الغياوي (ت/1409 هـ) و نجله و مديرها الحالي الشيخ معين الدين القاسمي , من مؤلفاته : " منوِّر الإيمان " , و" هداية الثقلين في تخصيص المصافحة بعد العيدين " وغير ذلك , خلفه في إدارة هذه المدرسة صهره الشيخ محمد خير الدين الغياوي (ت/1367هـ) .

[2] أقيمت هذه المدارس على غرار دار العلوم في منهاجها التعليمية بغية تحقيق هدفها المنشود بين صغير وكبير , ومعظمها كانت بمثابة فروع دار العلوم /ديوبند .

الوعد الجازم من صاحب خير يخشى أن زمام الخوف والرجاء الذين يبعثان على الإنابة إلى الله ينفلت من أيدينا , وتتوقف المعونة من الله , ويقع النزاع بين العاملين , والحاصل أن لا نأمن بعد هناءه الحال والإنشاء والبناء نوعًا من الإقلال , فإن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر "

شبكة المدارس الإسلامية :

وقام العلماء بمدّ شبكة المدارس الإسلامية بفضل جهود هذه الحركة من أفغانستان إلى بورما [1] في حدود عشرين أو خمس وعشرين سنة , والطلبة الذين تخرجوا في دار العلوم اهتموا بهذا الجانب وأنشاؤا معاهد دينية في مناطقهم , وهكذا أصبحت هذه المعاهد بصفتها مراكز دينية تقود الأجيال , وترشد المسلمين إلى ما ينفعهم في الأولى والآخرة .

لما ذا هذه المدارس ؟

عند ما أسس الإمام محمد قاسم النانوتوي هذه الدار العلمية , كان إنشاء المدارس التبشيرية هنا على قدم وساق , وهذه المدارس لم تكن مؤسسات تعليمية فحسب , وإنما كانت مراكز التبشير يدرس طلبتها الكتاب المقدس , ويمُثلون بين يدي تمثال المسيح , ويُرغَمون على الدعاء في حضرته , ولم يكن هناك فرق بين الطلبة المسيحيين وغيرهم , وعلى العكس من ذلك لا يهتم المسلمون بالتعليم الديني , ولم يكن وجود العلماء حسب الحاجة , ولذلك توخى من خلال هذه الدار أن تكون دراسة الشريعة والدين الإسلامي هي الركيزه الأولى لها ؛ حتى تسد هذه الحاجة على أسرع ما يمكن .

سعة أفقه ودقة نظره :

ولا يعني هذا أنه كان يخالف التعليم الحديث وتحصيل العلماء إياه , فقد قال الإمام

---

(1) بورما : تقع في البر الرئيسي لجنوب شرقي آسيا بمحاذاة البنغال , عاصمتها "رنكون" وتتاخم كلاً من بنغلاديش والهند والصين ولاوس وتايلاند , واسمها الرسمي الآن " ماينمار " تقدر مساحتها بـ578,676 كم , وعدد سكانها حسب تقدير عام (2000م) 48,866,000 نسمة .

النانوتوي في التاسع من يناير عام 1874م , وهو يخاطب جلسة عامة عقدت من دار العلوم في رحابها :

" لو يواصل طالب من دار العلوم دراسته بعد تخرجه في مقرراتها الدراسة ويتلقى العلوم الحديثة في المدارس الرسمية , ويشبع نهمه العلمي , فيزداد بذلك نبوغًا وكمالاً "

كان تفكيره ثوريًّا , كان مبتعدًا كل الابتعاد وعن أدنى شائبة من ضيق الأفق في شأن التعليم , فقد أُدخلت مرة في مقررات دار العلوم اللغة السنسكريتية التي هي لغة مصادر دينية للهند , ويجدر بالذكر هنا ما حدث مع النانوتوي في آخر سفرته للحج , فتكلم قبطان باخرته معه بواسطة ترجمان , وتأثر بحواره تأثرًا كبيرًا يكاد يدخل في الإسلام , ولكنه وعد بلقياه إياه فيما بعد , فكان من انطباعات الإمام أن المحادثة المباشرة تفعل ما لا تفعل المحادثة بالترجمان , فعزم على أنه يتعلم هذه اللغة بعد الرجوع إلى الهند لو رافقته الحياة , ولكن الأسف أنه كيف وصل إلى الهند استأثرت به رحمة الله .

ومما يؤيد هذه الفكرة أن تلميذه المرموق بين أقرانه الشيخ محمود حسن الديوبندي " شيخ الهند وقائد الحرية " قال في خطبته بمدينة عليكره , وكان يوضح أهداف إنشاء الجامعة الملية الإسلامية [1] في التاسع وعشرين من أكتوبر عام 1920م :

" يا أفلاذ أكباد الوطن ! لما رأيت أن الذين يواسونني في آلامي وأحزاني –

---

[1] الجامعة الملية الإسلامية : أنشئت في 29/ أكتوبر 1020م في مدينة عليكره , وضع حجرها الأساسي الشيخ المحدث محمود حسن الديوبندي , وكان من روّادها الشيخ المفتي محمد كفاية الله الدهلوي , والعلامة سيد سليمان الندوي , والشيخ عبد الباري الفرنكي المحلي , والعلامة شبير =

= أحمد العثماني , و والأستاذ جودهري خليق الزمان , والدكتور محمد إقبال , والشيخ أبو الكلام آزاد , والشيخ حسين أحمد المدني , والدكتور ممتاز أحمد الأنصاري , والأستاذ سيف الدين كجلو , والدكتور الحكيم أجمل خان كان أول رئيس الجامعة , والأستاذ محمد علي جوهر أول نائب الرئيس لها , خلفه الدكتور ذاكر حسين , انتقلت عام 1925م إلى دهلي عاصمة الهند وتدرجت في رقيها , حتى تعددت أقسامها , وتوسع نطاق الدراسة فيها , ووصلت إلى قمة الدراسات العليا والمرحلة الجامعية , وتعتبر الآن من كبرى المؤسسات التعليمية بالهند .

وهي التي أنقضت ظهري وأوهنت عظمي – أكثرهم يتصلون بالمدارس والكليات العصرية , وأقلهم في المعاهد الدينية والزوايا ؛ تقدمت أنا ورفاقي إلى عليكره , وأوثقنا الصلة بين ديوبند وعليكره بقعتين تاريخيتين "

فلا غرو إذن أن نقول وبكل جد وثقة أن الإمام النانوتوي لم يكن يعتبر اللغة الإنجليزية أو العلوم العصرية شجرة ملعونة لا مساس لها بالعلماء والمتدينين ؛ بل إنه رتب مقرر دار العلوم التعليمي نظرًا إلى ضرورة عصره , وكان من الطبيعي في ذاك الوقت أن يكون للعربية والفارسية نصيب كبير , وهكذا كان .

من المعقول إلى المنقول :

إن المنهج التعليمي السائد في الهند منذ زمن قديم , الذي يسمى بالمنهج النظامي [1] وينتمي إلى العلامة الشيخ نظام الدين الأنصاري الفرنكي المحلي [2] ليس مصدر مقررات دار العلوم / ديوبند , كثير من الناس يظنون أن دار العلوم/ديوبند تسير وفق هذا المنهج وتتخذه كمقرر دراسي لها , وتمثل هذا المنهج , إن هذا الظن ينبني على فهم خاطئ ,

---

(1) المنهج النظامي : منهاج دراسي ينتمي إلى العلامة الشيخ نظام الدين السهالوي , يلتزم هذا المنهج بتدريس علوم الفلسفة والمنطق وأصول الفقه وعلم الكلام , كما يعنى عناية خاصة بتدريس =

= الحديث النبوي الشريف وعلومه مع دراسة مقارنة للمذاهب الفقهية ومحاكمة استدلالية وإثبات المذهب الحنفي وترجيحه .

(2) هو الشيخ نظام الدين السهالوي ثم اللكنوي الأنصاري الفرنكي المحلّي (1089- 1161 هـ = 1687-1747م) قرأ معظم الكتب الدراسية على ملا علي قلي الجائسي قضى خمسين عامًا من حياته في لكنؤ في خدمة العلم والدين , أهدى إليه الإمبراطور المغولي والملك العادل أورنك زيب قصرًا شامخًا عملاقًا , بعد وفاة أبيه الشيخ قطب الدين بن عبد الحليم مقتولاً تسلية له ولإخوانه , وهذا ما يسمى بـ " فرنكي محل " أنشأ الشيخ مدرسة باسم " المدرسة النظامية " في رحاب هذا القصر , وأعد منهجاً دراسيًّا للمدارس الإسلامية اشتهر بـ " المنهج النظامي " , والمدرسة النظامية من أقدم مدارس الهند , تخرج فيها الشيخ عبد العلي (ت/1225هـ) والشيخ عبد الحليم (ت/1285هـ) , والشيخ عبد الحي (ت/1304هـ) وأمثالهم من نوابغ العصر , وكان مع تبحر علمه حسن التواضع , كثير المؤاساة بالناس , لا يتقيد بتكبير العمامة , وتطويل الأكمام والطيلسان , من مؤلفاته : شرحان على " مسلم الثبوت " , للقاضي محب الله , وشرح له على " منار الأصول " , وله " مناقب رزاقية " كتاب بالفارسي في ترجمة شيخه عبد الرزاق البانسوي الذي أخذ الطريقة القادرية منه .

والحقيقة أن المنهج النظامي كان يغلبه طابع المعقول من علوم الفلسفة اليونانية والمنطق ؛ لأن مراكز المسلمين التعليمية في الهند , حتى سنة 1857م أخذت بنشوة الفلسفة والمنطق , وبلغا منها كل مبلغ , فالمؤسسات التعليمية الدينية التي كانت توجد في خير آباد , وفرنكي محل , وتونك , ورام فور احتضنت هذه الفنون العقلية وتبنّتها , وأدخلت كتبها في مناهجها بعدد كبير , يُحيط بثلثيها تقريبًا , وعلى العكس من ذلك حُدد وقت قصير للحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي وتفسير القرآن وما إلى ذلك , فكان يُدرس بوجه عام في هذه المعاهد " مدارك التنزيل " [1] في التفسير , و" مشارق الأنوار " [2] في الحديث , و" المختصر للقدوري " [3] أو " شرح الوقاية " [4] في الفقه , وكانت هناك مدرسة أخرى حظيت لدى العلماء بالقبول

---

(1) كتاب وسط في التأويلات , جامع لوجوه الإعراب والقراءات , معروف بين أوساط العلم , وبخاصة في معاهد دينية تسير وفق المنهج النظامي , واسمه الكامل " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي (ت/701هـ) , اختصره الشيخ زين الدين أبو بكر بن العيني (ت/893هـ) وزاد فيه .

(2) كتاب شهير في الحديث النبوي الشريف , واسمه الكامل " مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية " للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني (ت/650هـ) , جمع فيه من الأحاديث الصحاح , وعدد أحاديثه على تعداد الشارح الكازروني (ت/758هـ) في شرحه " المطالع المصطفوية " ألفان ومائتان وستة وأربعون حديثًا , وشرحه كذلك الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي الحنفي (ت/786هـ) باسم " تحفة الأبرار في شرح مشارق الأنوار " وغيره من العلماء .

(3) قدوري : نسبة إلى مؤلفه الإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي (ت/428هـ) , الذي ألفه باسم " مختصر القدوري " , وهو متن متين معتبر متداول بين الأئمة الأعيان , وشهرته تغني عن البيان , وقد اعتني به من كثير من العلماء والفقهاء , ومن أحسن وأشهر شروحه : " الجوهرة النيرة " للإمام أبي بكر المعروف بالحدادي العبادي (ت/800هـ) , و" اللباب " للشيخ جلال الدين اليزدي (ت/591هـ) وغيرهما .

(4) شرح الوقاية : للإمام صدر الشريعة الثاني عبيد الله بن مسعود المحبوبي الحنفي (ت/750هـ) وقد غلب نعته على اسمه , حتى صار اسمًا لشرحه , و " شرح الوقاية " في الأصل شرح كتاب " وقاية الرواية في مسائل الهداية " للإمام برهان الشريعة محمود ابن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبي =

= الحنفي , صنفه لابن بنته صدر الشريعة الثاني , وهو متن مشهور اعتني بشأنه العلماء بالقراءة والتدريس والحفظ , وشرحه كثير من العلماء الحنفية , واشتهر من بينها هذا الشرح الموجز , وتداول في مناهج تعليمية للمدارس الإسلامية التي لها صلة بالفقه الحنفي خاصة .

وتوسع نطاقها بعدُ , وتلك " مدرسة الإمام عبد الرحيم ولي الله الدهلوي " [1] , فقد قام الإمام الدهلوي بتنمية تدريس الكتاب والسنة عن طريق المدرسة الرحيمية [2] , واستهلّ الدروس للكتب الستة , حتى تغير الاتجاه , وتهيأ الرجال , وتفوق المنقول على المعقول , ووليت قبلة التعليم من اليونان إلى الكعبة , وترجم الشيخ الشاه عبد القادر الدهلوي والشيخ الشاه رفيع الدين الدهلوي [3] نجلا الإمام الدهلوي القرآن الكريم بكامله لأول مرة إلى اللغة الأردية , فخالفهما بعض المولويين الذين أصيبوا بضيق الأفق وقصر النظر .

والإمام النانوتوي عند ما وضع منهج دار العلوم التعليمي جعل " مدرسة الإمام ولي الله " أساسًا له , وأما العلوم الحديثة فأدخل منها الرياضيات وعلم الفلك في هذا المنهج , كما أخذ من المنطق والفلسفة فيه ما لا بد منه من المبادئ والضوابط الأساسية , وهكذا كانت هذه المبادرة تغيرًا ثوريًّا في مجال التعليم الديني , وقد تم ذلك بهذه الدار التي أسست بالإمام النانوتوي ورفاقه المخلصين على تقوى الله والجهاد في سبيله .

ثمار حركة المدارس الدينية :

---

(1) هو الإمام المحدث الفقيه العالم المجتهد أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله المحدث الدهلوي (1114-1176هـ = 1699-1762م) طلب العلم في بلده ثم رحل إلى الحجاز عام 1143هـ , ورجع إلى الهند عام 1145هـ , أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند , فهو رئيس المحدثين ونعم الناصر لسنن سيد المرسلين , قال الكتاني : " وهو ممن ظهر لي أنه يُعد من حفاظ القرن الثاني عشر ؛ لأنه ممن رحل ورُحل إليه , وروى وصنف ورجح وغرس غرسًا بالهند أطعم وأثمر وأكل منه خلق " , من أشهر مؤلفاته : " حجة الله البالغة " , و" الفوز الكبير في أصول التفسير ", و " إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء " وغيرها .

(2) المدرسة الرحيمية : أسسها الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في مسجد " المقبرة " بـ مهديان , دهلي الجديدة , ثم أغلقت عام 1831م , وافتتحت مرة ثانية عام 1981م بعد 150 سنة , بجهود من علي محمد الميواتي باسم " الجامعة الرحيمية " وتعمل الآن وفق " المنهج النظامي " .

(3) هو الشيخ العلامة رفيع الدين عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي (1163 – 1233هـ = 1750 – 1818م) المحدث المتكلم الأصولي , قرأ معظم الكتب الدراسية على أخيه =

= الشيخ عبد العزيز الدهلوي , من مؤلفاته : " تفسير سورة النور " , و " تكميل الصناعة " , وهذا كتاب عجيب , قلما اتفق مثله لغيره , وهو أول من ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الأردية , صدرت أول طبعاتها بكولكاتا في الهند عام 1840م .

عملت هذه الحركة على مبدأ ينفع الأمة ويزيدها رقيًّا في العلم والدين , فنفعتها نفعًا كبيرًا لا يوصف بلسان , ولا يحدده بيان , ولكن يجدر هنا بأن نذكر بعض النقاط في هذا الصدد , وذلك كما يلي :

1- لقد أنجبت هذه المدارس رجالاً كانت قلوبهم عامرة بالحمية الإسلامية وعواطف بث روح الإسلام في المجتمع والشعوب , جعلوا القناعة رأس مالهم , لم يتأثروا بالجاه والمال , ولا ترغيب الأثرياء والحكومات في مطامح الدنيا , ولم يقبلوا ضغوطهم أو فلوسهم , مما أرغمهم على حالة من الصراع والشجار مع الحكومة , ولكنهم لم يأبهوا به , ورفضوا دومًا مساعدة خيرية قدمت من الحكومة أو المصالح الرسمية .

2- في القرن السابع عشر صبت جهود مضنية في تدعيم فن الاستشراق بغية إثارة الشبهات لتشويه حقائق الإسلام وإساءة سمعة المسلمين , كان شعاره دراسة العلوم الشرقية والحضارات , ولكن لم يكن ذلك غرضه المنشود , وإنما كان المطلوب من ذلك تكريس الجهود لصالح أعداء الإسلام , والطعن في تعاليم الإسلام ومثله العليا , وأرسلت هذه الفكرة تحاملاً على الاستعمار الغربي إلى البلدان المسلمة , حتى نشأت بين المسلمين طائفة بدأت تتناول آيات الكتاب والأحاديث بتأويلات كاسدة , وحجج داحضة , ويرأسهم في الهند الأستاذ سر سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكره , قامت حركة المدارس في وجه هذه الفتنة ووصدت في وجهها الأبواب , وحققت انتصارًا باهرًا في إنقاذ المسلمين من هذه البلبلة الفكرية .

3- وفي أواخر القرن الثامن عشر قام في " قاديان " إحدى محافظات ولاية بنجاب الهندية , الميرزا غلام أحمد القادياني [1] , وادعى النبوة على إغراءات من الإنجليز ,

---

[1] هو الميرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى القادياني (1839 – 1908م) , كان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والأمة , ادعى القادياني أنه مهدي موعود ثم ادعي أنه مسيح منزل , وزعم في نهاية المطاف أنه نبي مرسل , وإليه

وتبعه الغوغاء من الناس , حتى تكونت طائفة سميت بـ " القاديانية " , تحولت إلى فتنة كبيرة جراء مساندة القوى الغربية , فهؤلاء هم رجال هذه المدارس الذين تصدوا لإحباط هذه الفتنة , وتعقبوها من شبه القارة الهندية إلى أوربا وأمريكا , ولا يزالون يبذلون الجهود في ذلك , لو لم ينهض العلماء لمقاومة هذه الفتنة لا يدرى كم من المسلمين راح ضحيتها ووقع فريستها .

4- كما نشأت في الهند حركة هندوسية حاولت إقناع المسلمين الجهال والسذج بأن آباءهم كانوا في الأصل هنادك , وقد أكرهوا على قبول هذا الدين , فينبغي أن تعودا في ملتكم وتقبلوا الدين الهندوسي , وقد طبعت في هذا الصدد كتابات ونشرات , وألقيت كلمات , وعقدت اجتماعات للمناظرة والنقاش , والذين زاد الطين بلةً تخلفُ المسلمين في الاقتصاد والتعليم , ولكن لم يتخلف العلماء وخريجوا المدارس , ولا نامت أعينهم عن مقاومة هذه الفتنة واجتثاثها من جذورها , وقد خاطروا بأنفسهم وألقوها في المغامرات وواجهوا الأوضاع القاسية في سبيل مقاومة هذه الردة , وهكذا نجحوا في وقاية 90 ٪ من المسلمين من التورط في هذا المستنقع الآسن .

5- ثارت فتنة إنكار الحديث تحت سيادة المستشرقين بقوة وصرامة , ومعلوم أن إنكار الحديث إنكار ثوابت إسلامية أساسية , تركت هذه الفتنة أثرًا كبيرًا في مصر من العالم العربي , والهند من البلدان الشرقية , وفتحت باباً من الانحراف

تنسب " القاديانية " التي نشأت على يديه سنة 1900م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية , بغية إبعاد المسلمين عن دينهم وعن =

= فريضة الجهاد بشكل خاص , وكان القادياني وفيًا للاستعمار مطيعًا له , عليه شب و شاب , وهرم ومات , وخلف وراءه أتباعه الذين يسمون أنفسهم بالأحمدية ويرددون كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " , ويقولون : " لا نحتاج لديننا إلى كلمة جديدة للشهادة بنبوة غلام أحمد ؛ لأنه ليس بين النبي وبين غلام أحمد أي فارق " , ويتظاهرون بالإسلام وينكرون ختم النبوة بنبوة محمد ρ , والحقيقة أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم , والله أعلم بما يكتمون .

الفكري والزيغ العقدي على مصراعيه , ولم يرتفع صوت من جانب –كالعادة – إلا ممن تربوا في أحضان هذه المدارس وارتشفوا من مناهلها , فاضطلعوا بأعباء الرد على هذه الفتنة , وألفوا كتبًا وألقوا كلمات حول هذه الفتنة التي كادت تعم العالم , حتى قضي عليها إلى حد كبير , وماتت حتف أنفها في قعر دارها .

6- نشأت من حركة المدارس حركات دينية ودعوية , وتعليمية وسياسية , وفي مقدمتها " جماعة التبليغ " [1] التي أسسها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي [2] , وقد أصبحت اليوم جماعة دولية شاملة , يلمس تأثيراتها الواسعة أولوا

---

(1) جماعة التبليغ : إحدى الجماعات الإسلامية في الهند تعمل بين أوساط المسلمين , أسسها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي , وبدأ أعمالها من قرية " ميوات "من جنوب دهلي , إن هذه الجماعة تعمل على ستة مبادئ بوجه خاص , وذلك كالتالي : (1)الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) (2) إقامة الصلوات ذات الخشوع (3) العلم والذكر (4) إكرام المسلمين (5) الإخلاص =

= (6) تفريغ الوقت للدعوة من الشواغل المادية , تعتمد هذه الجماعة في إنجاز أعمالها الدعوية على الخروج الدعوي , والجولة الدعوية , ودروس مؤقتة , من أبرز شخصياتها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي , والشيخ محمد يوسف الكاندهلوي صاحب " حياة الصحابة " , والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي , والشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي , والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي , والشيخ محمد منظور النعماني , والشيخ إنعام الحسن , والشيخ محمد عمر البالنبوري وغيرهم , هذا , وقد أثرت هذه الدعوة في قلوب مئات وألوف , فتغيرت أخلاقهم , وتحسنت أحوالهم من غير نفقات باهظة , ولا مساعدات مالية , أو نظم إدارية ؛ بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الإسلام .

(2) هو الشيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (1303 – 1364هـ) ولد في بلدة كاندهله , بمديرية سهارنفور (الهند) , وتخرج في ديوبند , كما تلقى تعليمه الأولي على أخيه الشيخ محمد يحي الكاندهلوي – الذي كان مدرسًا في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور – , والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي , واتصل بالشيخ عبد الرحيم الرائي فوري واستفاد من علمه وتربيته , أخذ بعض علومه على الشيخ أشرف علي التهانوي والشيخ محمود حسن الديوبندي , كان لسلف الشيخ محمد إلياس مساهمة فعالة في حركة الجهاد التي قادها الإمامان السيد أحمد الشهيد والشيخ محمد إسماعيل الشهيد , كان كثير العبادة , مشغولاً بخاصة نفسه , وكان موضع احترام بين المشايخ والعلماء , واشتغل مدرسا في مدرسة " مظاهر العلوم " أياما , يقول الإمام أبو الحسن الندوي عنه : " رجل نحيف تشف عيناه عن ذكاء مفرط وهمة عالية , ... ليس بمفوه ولا خطيب , بل يتلعثم في بعض الأحيان ... ولكنه كله روح ونشاط , وحماس ويقين , ... رأيته في حالة عجيبة من التألم والتوجه , والقلق الدائم " .

الأبصار فضلاً عن ذوي البصيرة في كل بقعة من بقاع العالم , فإن هذه الجماعة تمثل دورًا هامًا في ربط المسلمين بدينهم , وإبقاء هويتهم الإسلامية , وإبلاغ نور الإسلام إلى الأرياف والقرى , ومن أهم حركات تعليمية " ندوة العلماء " [1] التي أسهم في تأسيسها شيخ الهند محمود حسن الديوبندي وحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي [2] , وكان من أغراض هذه الحركة

---

(1) أنشئت حركة ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها في نهاية القرن التاسع عشر ،وتعد هذه الدار الآن من كبري الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي , أسسها الشيخ محمد علي المونكيري (ت/1346هـ= 1927م) , وكان من أشهر العلماء والدعاة , وصاحب تأليف وجهود عملية ضد المسيحية والقاديانية ؛ مع ندوة كبيرة من العلماء عام 1310هـ = 1894م , عنيت هذه الجامعة منذ تأسيسها بالقرآن الكريم – بصفة خاصة – وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل , كما عنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه , واجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالدين الإسلامي الخالد شارحين للشريعة بلغة يفهمها أهل العصر , أما مطالب الندوة فتحصر مهماتها في أربعة أمور : (1) ترقية المدارس العربية وإصلاح مناهجها الدراسية حسب الضرورة (2) إصلاح أمور المعاشرة والأخلاق (3) رفع المخاصمات الدينية (4) نشر الإسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العامة , تأسست هذه الدار على مبدأ التوسط والاعتدال , والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع , قامت على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية , وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجديد , من أشهر رجالاتها العلامة سيد سليمان الندوي (ت/1953م) والشيخ مسعود عالم الندوي (ت/1954م) والشيخ عبد الباري الندوي , (ت/1976م) والعلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي (ت/1999م) وغيرهم .

(2) هو العلامة الشيخ أشرف علي بن عبد الحق بن فيض علي التهانوي الفاروقي (1280- 1362هـ = 1861 – 1943م) , شيخ المشايخ في البلاد الهندية , حكيم الأمة , مجدد الملة في الهند , صاحب التصانيف النافعة , تخرج في دار العلوم /ديوبند عام 1309هـ , ومن كبار شيوخ التهانوي , الشيخ محمد يعقوب بن مملوك العلي النانوتوي , رئيس هيئة التدريس الأول بالجامعة الإسلامية دار العلوم /ديوبند (ت/1302هـ = 1884م) , والشيخ محمود حسن الديوبندي والشيخ الملاّ محمود وغيرهم ,=

= كان الشيخ التهانوي من أعظم من انتفعت بهم الهند في إصلاح العقيدة والعمل , والرجوع إلى الله وإصلاح النفس , وانتفع الناس بكتبه انتفاعًا لم يعرف لعالم آخر في هذا الزمان , كتب في كل فن من الفنون الإسلامية تقريبًا , ومن أشهر مؤلفاته : " ترجمة القرآن الكريم وتفسيره المسمى بـ "بيان القرآن " في أربعة مجلدات ضخمة , و" أحكام القرآن " و " إحياء السنن " (بالعربية) , و" جزاء الأعمال " , و " أشرف الجواب " , و " إمداد الفتاوى " في ستة مجلدات ضخمة , و " الحيلة الناجزة للحليلة العاجزة " (باللغة الأردية) , و" مسائل السلوك من كلام ملك الملوك " (باللغة العربية) وغيرها .

إيجاد التضامن بين علماء المسلمين وتوحيد صفوفهم , وتحريض المعاهد الدينية على الأخذ بمبدأ الجمع بين " القديم الصالح والجديد النافع " .

7- كما مثل رجال هذه الحركة دورًا رائعًا في مجال السياسة , وقاموا بأعمال جليلة خدمت مصالح المسلمين والمثل العليا للإسلام , فأنشئت جمعية العلماء [1] في الهند خلال كفاح التحرير , التي قدمت في تحرير هذه البلاد نماذج عالية تتباهى بها الأجيال , ولا تُنسى أبد الدهر , وكان رواد هذه الجمعية طليعة المناضلين لتحرير البلاد وإجلاء المستعمرين من مركز القيادة , وكذلك لم ترحب بحركة قيام باكستان إلا بعد تأييد من مشايخ أجلاء لهذه الحركة , كما استمرت جمعية العلماء (الباكستانية) بعد تشكيل باكستان في أعمالها , ولعبت دورًا هامًا في السياسية الباكستانية , وليس بخاف على أحد ما قامت به حركة " طالبان" في أفغانستان من دور فعال في ترشيد الصحوة الإسلامية , والتمكن من الزعامة السياسية على البلاد, وفي بعض البلدان الأفريقية أصبحت للمسلمين جولة وصولة على الجبهة السياسية بفضل عمل دؤب من

(1) جمعية العلماء : في مطلع القرن العشرين كانت الحاجة ماسة إلى تأسيس جمعية خاصة بالمسلمين تقوم برعاية مصالحهم , وتحاول بشتى الوسائل معالجة مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية , وتهتم بأمورهم , حتى لا يقعوا فر يسة للحركات التشيرية التي تقوم بها الحكومة البريطانية , وانطلاقاً من هذا المبدأ أسست جمعية العلماء في 22/ نوفمبر عام 1919م بين كوكبة من العلماء أمثال الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد , والشيخ نور الحسن , والعلامة سيد سليمان الندوي , وحكيم أجمل خان وغيرهم , وعهد هؤلاء العلماء بقيادة عبد الباري الفرنكي المحلي بالاتحاد وعدم ترك أي فراغ للاختلافات بينهم , واختير الشيخ كفاية الله الدهلوي كرئيس مؤقت لها , وبعد سنة كاملة من هذا الاجتماع تم انتخاب شيخ الهند محمود حسن الديوبندي كرئيس للجمعية , والمفتي كفاية الله كنائب للرئيس , إلا أنه بعد وفاة شيخ الهند وقع الاختيار مرة ثانية على سماحة المفتي واستمر في هذا المنصب عشرين عامًا , كانت هذه الجمعية منذ أول يوم من تأسيسها تهتم بالأمور السياسية بجانب الأمور الدينية =

= المحضة , وكانت مرتبطة بمعظم الأمور المتعلقة بالدولة والديانة , وبالفعل لعبت جمعية العلماء دورًا هامًا في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني , واستطاعت أن تدون اسمها في التاريخ بحروف ذهبية , وتعمل جمعية العلماء بعد وفاة رئيسها الأخير الشيخ أسعد المدني بعام تقريبًا تحت جناحين , يرأس أحدهما الشيخ محمد أرشد المدني بينما يرأس الثاني الشيخ المقرئ عثمان المنصور فوري .

هؤلاء العلماء , ولا تزال , فحق لنا أن نقول : إن لهذه الحركة بصمات في مجال السياسية أيضا , وبالأخص في سياسة شبه القارة الهندية .

8- إن كثيرا من الفقهاء القدامى يرون أن الإمارة الشرعية ونظام القضاء لا بد منه في البلدان ذات الأقلية المسلمة , لكي يجتمع شملهم وتتوحد كلمتهم , وتنحل القضايا التي تتعلق بتصرف القاضي المسلم , ولذلك أفتى العلماء في الهند بعد سيطرة الإنجليز عليها بوجوب نصب الأمير والقاضي , وأول من قام بالعمل به هو الشيخ أبو المحاسن محمد سجاد [1] , فإنه أنشأ الإمارة الشرعية [2] في ولاية بيهار إحدى الولايات القديمة لهذه البلاد , وأنشئت تحتها أقسام دار القضاء ,

(1) أبو المحاسن محمد سجاد بن المولوي حسن بخش (1881- 1940م) كان ينتمي إلى موضع " بهنسه " بمديرية بتنه من ولاية بيهار , من مشايخه والده حسن بخش , والشيخ حسن الكانفوري , والشيخ عبد الكافي الإله آبادي , تخرج في المدرسة السبحانية إله آباد عام 1327هـ , ودرّس في مدرسة أنوار العلوم (غيا) – وهو الذي قام بتجديد هذه المدرسة، وألحقها بندوة العلماء عام 1332هـ , ثم انقطعت صلتها منها بعد قليل , وساهم في الحركات الوطنية , كان أمينا عامًا لجمعية العلماء (الهند) , وله دور رئيسي في تشكيل هذه الجمعية , ومن جلائل أعماله تأسيس منظمة " الإمارة الشرعية " لولايات بيهار وأريسه , كان راسخًا في العلم , حسن التخطيط للبرامج العلمية والدعوية والسياسية , نشيطًا متيقظًا ذا حماس وجدية , لم يوجد له نظير في العلماء في التضلع من علوم السياسة .

(2) إن منظمة الإشراف الإسلامي الأهلية في ولاية بيهار المدعوة بالإمارة الشرعية (بيهار وأريسه وجارخند) قد أسست عام 1921م على يد الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد في بتنه عاصمة ولاية بيهار , وهي من أهم المنظمات الإسلامية الأهلية , وأوسعها رعايةً وعنايةً بشؤون مسلمي ثلاث ولايات شمالية في الهند , لقد أدت المنظمة أعمالاً جسيمة في إطارة أهدافها , واهتمت بجانب الإشراف الديني ومعالجة القضايا الفقهية والقضاء الشرعي الإسلامي بتحسين الحالة المادية والمهنية للمسلمين , فقد أنشأت معهدين : أحدهما للتدريب على الكمبيوتر , وآخرهما للتكنولوجية والكهرباء , ويكون للمنظمة رئيس يسمى " أميرًا " اتباعًا للمصطلح الإسلامي , ولها خدمات جليلة أسدت بها إلى الأمة في صورة بيت المال , ودار القضاء المركزية وفروعها البالغة إلى ثلاثين , والمعهد التقني مع معاهد تقنية أخرى , ومستشفيات عديدة في مديريات ومناطق مختلفة , وأما الأقسام التابعة لها فهي دار القضاء , ودار الإفتاء , وقسم الدعوة والإرشاد , وقسم تنظيم المسلمين , وقسم التعليم , وقسم التدريب على الإفتار والقضاء , ومعاهد التدريب المهني ورابطة المدارس , =

= وقسم شؤون المساجد وما إلى ذلك , وتعمل الآن تحت إمارة الشيخ سيد نظام الدين القاسمي وهو الأمين العام لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند كذلك .

وبيت المال , والدعوة الإسلامية , والحفاظ على هوية المسلمين وشعارهم , ويُعمل بهذا النظام الآن في عدة ولايات الهند , وكذلك في البلدان ذات الأقلية المسلمة من بريطانيا , وأمريكا , وموريشس , وإفريقيا الجنوبية وغيرها من البلدان , ولا ريب أن هذه الخدمات قد تمت على أيدي رجال كانت لهم صلة مباشرة وطيدة بهذه الحركة .

9- لقد تم تقنين بند من بنود قوانين الهند , وذلك أن الشريعة هي الحاكمة في محاكمات يكون كلا الخصمين فيها مسلمًا في قضايا تتعلق بالأحوال الشخصية خاصة , ويعرف هذا القانون في الهند بـ " قانون التماس الشريعة [1] 1937م , ومع الأسف أن الحكومة الديمقراطية بذلت جهودًا بعد استقلال البلاد في قطع صلة المسلمين عن أحوالهم الشخصية التي تتصل بها هوية الأمة الإسلامية حضارة وديانة , فنظرًا إلى خطورة هذه الحال المتوهوره للبرلمان والمحاكم بادرت دار العلوم / ديوبند إلى جمع العلماء على رصيف واحد , ووجهت الدعوة إلى ممثلي مدارس فكرية مختلفة متواجدة في الهند للمشاركة في ندوة عقدت بمدينة ساحلية تاريخية " مومبائي " للتفكير في هذه القضية , وقد شهدت هذه الندوة اجتماعًا كبيرًا من المسلمين لا يوجد له مثيل في تاريخ البلاد , وقد تم في هذا الاجتماع وبين ظهراني كبار العلماء تشكيل هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند [2] التي تعتبر رصيدًا موحدًا ومؤثرًا

---

[1] تم تصنيف " قانون التماس الشريعة " سنة 1937م في عهد الاستعمار الإنجليزي بفضل جهود الأعضاء المسلمين للمجلس التشريعي المركزي , وخلاصة ما يهدف إليه هذا القانون أن المسلمين يتبعون لزامًا قانون الأحوال الشخصية الإسلامي في خصوماتهم المتعلقة بالإرث , والنكاح وفسخه , والطلاق والإيلاء , والظهار , واللعان , والخلع , والمهر , والنفقة , وثبوت النسب , والأمانات , وحق الشفعة , والهبة , والوقف ولهم خيار في الأخذ به في معاملات الوصية والتبني , وقد تمكن المسلمون من صيانة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بعد هذا التقنين إلى حد كبير .

[2] أسست هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند سنة 1392هـ = 1972م بين عدد لفيف من العلماء والمثقفين المسلمين , وكانوا يمثلون المدارس الفكرية والعقدية المنوعة , تحت رئاسة الشيخ المقرئ حكيم الإسلام محمد

يمثل المسلمين الهنود , حتى لا تجد الحكومة الهندية محيدًا عن إصغاء السمع إلى صوتها , وقد أصبحت الآن مسموعة الكلمة وموضع ثقة للجماهير , ولا تجحد مضاعفاتها على البلدان ذات الأقلية المسلمة الأخرى ؛ كما نرى في موريشس حيث اعتُرف بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية , وأصبح لدار القضاء ثمة سلطان على قلوب المسلمين , تملي إرادتها على المحاكمات والقضايا , ومنحت نوعًا من سلطة قضائية , كما برزت هذه المجهودات في إفريقيا الجنوبية على الساحة ولا تزال تتقدم نحو الأمام .

وبالأسف الشديد أن الحفاظ على الإسلام لم يعد بالإمكان حتى في البلدان المسلمة , فقد بدأت حركة " نظام المصطفى " في عهد ذي الفقار علي بوتو [1] لتنفيذ الشريعة الإسلامية في باكستان , وكانت وراء هذه الحركة

طيب حفيد الإمام النانوتوي (ت/1403هـ = 1983م) , رئيس دار العلوم /ديوبند , وهو الذي اختير أول رئيس للهيئة بينما عين الشيخ منة الله الرحماني (ت/1412هـ = 1991م) أول أمين عام للهيئة , عند ما تجاوزت المحكمة العليا إلى الاقتراح بتعديل الأحوال الشخصية الإسلامية استنادًا إلى بند 44 في الدستور الهندي يقتضي فرض قانون مدني موحد ينطبق على جميع طبقات الشعب كلياً , كان من أهم أهداف هذه الهيئة المحاولة ضد إدخال أي تعديل في الدستور الهندي , يضر بالقانون الإسلامي الحفاظ على قانون الأحوال الشخصية الإسلامية والدفاع عن حياض الشريعة الغراء , وتطهير المجتمع المسلم الهندي من صراعات عائلية , وتقاليد وطقوس غير إسلامية وما إلى ذلك , يرأسها الآن فضيلة الشيخ سيد محمد الرابع الحسني رئيس ندوة العلماء الذي خلف الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي الرئيس الثالث للهيئة , وكان هو خليفة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي في هذا المنصب , ولا تزال الهيئة تمثل دورًا =

= مرموقاً في ترشيد الصحوة الإسلامية , وتوجيه المجتمع وتكوين مناخ الأمن والسلام , وتمضي قدمًا إلى الأمام , ولهذه الهيئة دور ملحوظ في مواجهة المحاولات لتغيير الأحوال الشخصية , ومقاومة القوانين التي تتعارض مع التعاليم الإسلامية , كقانون الأوقاف , وقانون التبني , ونفقة المطلقة .

(1) ذو الفقار علي بوتو (1928 – 1979م) رئيس وزراء باكستان في الفترة ما بين عامي 1971 – 1977م , ولد بمقاطعة لاركانا بمحافظة السند , درس بوتو بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة , وجامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة , شغل منصب وزير بالحكومة الباكستانية في الفترة ما بين 1958 – 1966م , واستقال عام 1966م . من منصبه ليؤسس حزب الشعب الباكستاني , وفي عام 1971م انفصلت باكستان الشرقية عن باكستان لتكون دولة بنغلاديش المستقلة , ورقي بوتو=

قوة حركة المدارس ورجالها الأفذاذ .

10- إن الغرب قد أثار فتنة القومية على الصعيد العالمي , لكي يوزع الناس على أساس العرق والجنس , والخرائط الجغرافية , والعالم الإسلامي والمسلمون هم العرضة الخاصة لمخططات الغرب , وقد ذاب كبار الزعماء في تيار الزيغ والضلال الذي يجرف كل غال ورخيص , وغث وثمين , وذهبوا جفاءًا , لم تمزق هذه الفتنة شمل العالم الإسلامي فحسب , بل فرق بين المرء المسلم وأخيه في البلدان ذات الأقلية المسلمة , والعلماء هم الذين يتفرسون لهذه الفتن ويبادرون إلى التخلص منها والقضاء عليها ويصمدون صمود الجبال الراسيات , والحق أنهم جميعًا ينتمون إلى هذه المعاهد الدينية , فهم يعملون في مجالين أو على جبهتين , يعيشون أنفسهم بالصمود والمثابرة , ويوثقون صلة عامة المسلمين بالإسلام رغم نزعات نفسية وإغراءات مادية .

11- ومن ثمار حركة المدارس أنها أنجبت رجالاً قاموا بمهمتهم في مجالات منوعة , وأنشأوا مؤسسات وهيئات مختلفة لخدمة الأمة الإسلامية , تتضمن المدارس الإسلامية والمؤسسات التعليمية العصرية , ومراكز التذكير بين المسلمين والدعوة بين أوساط غير المسلمين , وشؤون خدمة خلق الله , والمنظمات السياسية والحركات الاجتماعية والإصلاحية وما إلى ذلك , ويبلغ عدد هذه المؤسسات إلى آلاف في شبه القارة الهندية فحسب , فضلا عن المجهودات التي تبذل في البلدان الأخرى .

12- ومن فوائد إنشاء هذه الحركة أنها توفر الموارد البشرية لهذه المؤسسات والجمعيات

= سريعًا خلال فترة هذه الأزمة نائبًا لرئيس الوزراء فوزيرا للخارجية , ثم رئيسًا للجمهورية , وفي عام 1973م اتخذ لقب الرئيس بدلاً من رئيس الوزراء , وفاز بوتو في انتخابات عام 1977م إلا أن الاتهامات بالتلاعب في الأصوات , وانتشار أحداث الشغب أدت إلى الإطاحة به في انقلاب عسكري , وأدانته الحكومة العسكرية بعدة جرائم خطيرة , فأعدم عام 1979م .

المختلفة , ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد أنه لما أن شبه القارة الهندية منبع هذه الحركة , وهذه أكبر خطة من ناحية كثرة الرجال الأكفاء ذوي القدرات والمؤهلات , فلا ترى قطرًا من أقطار الشرق والغرب إلا ويوجد فيه خبراء من هذه المنطقة , وبهم يبلغ نظام المدارس الحرة إلى تلك الأقطار , وتؤسس المدارس والجامعات الدينية هناك بالنسبة إلى حاجيات التعليم , والمجتمع والدين , ويمكن أن يشاهد نموذج عملي لهذه الحقيقة في أمريكا وبريطانيا , وإفريقيا الجنوبية واليابان ونحوها من البلدان .

13- تحدث كل يوم قضايا فكرية حديثة جرّاء اختراع الوسائل المستجدة , وتقلبات في الأنظمة الاقتصادية والسياسية وتفاوت كبير بين القيم والمثل الخلقية للأديان المختلفة ؛ كما تستجد قضايا فقهية حديثة من أجلها ,وتبذل جهود طيبة في العالم الإسلام لحل هذه القضايا على المستوى الرسمي , كما يتم ذلك في البلدان ذات الأقلية المسلمة على أيدي العلماء وخريجي المدارس , وقد كان لعلماء الهند في ذلك أسبقية , وخير نموذج لذلك في الوقت الراهن " مجمع الفقه الإسلامي بالهند " [1] الذي قام بتأسيسها سماحة القاضي الشيخ مجاهد

---

[1] أنشئ " مجمع الفقه الإسلامي " في نهاية سنة 1988م بجهود الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي لتحقيق أهداف اجتماعية سامية , من أهمها : (1) التوصل إلى حلول للمشكلات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية ولاجتماعية والسياسية والصناعية (2) والبحث عن الحلول لمستجدات العصر الحديث (3) وإجراء الدراسة لمصادر الفقه الإسلامي (4) ونشر فتاوى وآراء العلماء المحققين المعاصرين والمؤسسات الدينية الموثوق بها في القضايا المستجدة (5) واستعراض ما يثار من الشبهات , ويورد من الإشكالات حول قوانين الإسلام من قبل المستشرقين والآخرين , وتقديم الرأي الصحيح عنها (6) وتشجيع العلماء الشبان المتفوقين ليكونوا باحثين (7) وإعداد الفهارس في شتى الموضوعات الفقهية , أما مقر الرئيسي فبدهلي عاصمة الهند , يرأسه الآن الشيخ المفتي محمد ظفير الدين المفتاحي , وخلف القاضي في أمانته العامة الشيخ خالد سيف الله الرحماني رئيس المعهد العالي الإسلامي بحيدر آباد , واستكمل المجمع حتى الآن عقد تسع عشرة ندوة في مختلف أماكن البلاد , ومجموع القضايا التي تم إصدار القرارات بخصوصها تجاوز مائة , ويربو عدد البحوث المقدمة في هذه الندوة على الألف , كما يهتم المجمع بعقد الورش والمخيمات والمحاضرات الفقهية وغيرها , ومن أهم إنجازاته ترجمة " الموسوعة الفقهية " التي طبعت من وزارة الأوقاف الكويتية إلى اللغة الأردية ,

الإسلام القاسمي [1] , ولا شك أن هذا المجمع يعادل المجامع الفقهية للعالم الإسلامي من ناحية خدماته الجليلة .

14- ومن الحقائق التي لا تجحد أن الكتابات والمؤلفات بما فيها الموسوعات والأسفار العلمية والمقالات التحقيقية حول مواضيع التفسير والحديث , والفقه , والأصول , وعلم الكلام الحديث وغيرها من معطيات هؤلاء العلماء الذين يتخرجون في المعاهد الدينية بوجه عام , وخاصة في بلدان الأقليات المسلمة , فعليهم مدار هذه الخدمات , والأهم من ذلك أن هذه الكتابات قلما تنحرف من الجادة السليمة , فلم ينحتوا دينًا يُرضي الغرب , ولم يصدروا فتاوى تتأثر بها روح الشريعة تحت ضغط من الحكومة حتى لا يقطب جبينها , ولا يتكدر صفوها .

والخلاصة أن حملة العودة إلى الإسلام والصحوة الإسلامية التي اشتدت في هذا الحين على الصعيد العالمي من الشرق إلى الغرب , يرجع فضلها إلى " حركة المدارس الإسلامية " أكثر منها إلى غيرها , فيمكن القول بأدنى تأمل أنه لو يستعرض أحد هذه الحركات التي نشأت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على المستوى الدولي , يجد أن حركة المدارس الإسلامية – التي أسسها الإمام محمد قاسم النانوتوي – في مقدمتها , ويعترف أعداء الإسلام اليوم أيضا بأهمية هذه الحركة وتأثيرها , ويعتبرونها سدًا منيعًا في نشر أفكارهم اللادينية العلمانية .

وبلغت منشوراتها نحو سبعين كتابًا .

(1) هو الشيخ القاضي مجاهد الإسلام بن عبد الأحد بن إرادة الله (1936 – 2002م) , قائد جريئ , وخطيب مصقع مثالي , ورجل حركي وإداري , فقيه الواقع والعصر , قاضي القضاة ونائب الأمير في منظمة الإمارة الشرعية بولاية بيهار , ومؤسس " مجمع الفقه الإسلامي بالهند " , تخرج في دار العلوم /ديوبند بعد استفادة علمية طويلة من الشيخ حسين أحمد المدني , والشيخ إعزاز علي الديوبندي , والشيخ إبراهيم البلياوي وغيرهم , ثم عمل مدرسًا في الجامعة الرحمانية مونكير فترة من الزمن , ثم اختير أمينا عامًا وقاضيا للإمارة الشرعية , كما وقع عليه الاختيار كرئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام 2020م إثر وفاة الإمام أبي الحسن علي الندوي , وكان من أعضاء التأسيس للهيئة , وكان من أعضاء مجمع الفقه الإسلامي الدولي (جدة) ودار العلوم لندوة العلماء , والمجمع العلمي العالي بدمشق , وغيرها من المؤسسات والمنظمات .

جهوده الإصلاحية :

بينما قام الإمام النانوتوي بأداء فريضة الدفاع عن الإسلام , وقاوم الغزو الفكري الذي رسمت خطوطها من أعداء الإسلام , لم يتغافل أبدًا من العمل الدؤب بين أوساط المسلمين , ومن الدعوة والتذكير والتوجيه والإرشاد , وكان جانب من جوانب هذه الخدمة أن كثيرًا من البدعات قد صارت جزءًا من الحياة الدينية للمسمين لأجل غلبة التشيع هنا , ويوجد عدد كبير من الشيعة في " نانوته " أيضا , وكان قد تشيّع فرع من أسرة الإمام النانوتوي أيضا , وكان من نتيجة ذلك أن أهل السنة بدأوا يهتمون بـ" تعزيه " (ضريح مصنوع من القرطاس ونحوه) ويخرجون بها في أبهمة وشوكة , وكانت هناك غرف خاصة في مساجد أهل السنة لوضع هذه الضرائح وتعقد المجالس لرثاء أهل البيت , وتجعل محطات للسقاية تسمى بـ" سبيل " باسم سيدنا حسين رضي الله تعالى عنه , كانت هذه الظاهرة عامة في سائر أنحاء الهند تقريبًا من دون فرق بين أهل السنة والشيعة , وتوجد بقاياها حتى الآن عند بعض الجهال من العوام , والإمام النانوتوي رفع راية الجهاد ضد هذا التأثير الشيعي , ومنع الناس عن اتباع هذا البدعات , وتحمل لذلك مخالفة الجماهير , ولكن أهل السنة بدأوا يبتعدون عنها شيئا فشيئا , وهذا من انتصاراته الباهرة في هذا المجال.

وفي الوقت نفسه , كان بعض المبتدعة الغالين يعتقدون أن رسول الله ρ عالم الغيب , وهو حاضر في كل مكان , عليم بكل شيء , وأنه يرافق المشايخ والأولياء , فكتب ردًّا على ذلك , وسلط الضوء على هذه القضية بإسهاب ممتع في إحدى رسائله , كما رد على ما كان سائدًا وقتئذٍ من النذر بغير الله , فرفع صوته ضد هذه العقيدة .

وأما الجهة الثانية من جهوده الإصلاحية فهي أنه حاول في إنقاذ المسلمين من الرذائل والمثالب الاجتماعية التي نشأت في حياة المسلمين لطول بقائهم مع غير المسلمين , ومن ذلك قضية " زواج الأرامل " فلم يكن هناك مساغ للنكاح الثاني لأرملة , وتعتبر مشؤومة

نحسة , وقد تأثر المسلمون بهذا التصور , فقد تولى الإمام سيد أحمد الشهيد [1] – رحمه الله – في عهده حملة عامة ضد هذا , ثم تبعه بعض العلماء في ذلك , ولكن لم يتحقق لهم نجاح في القضاء على هذه التقاليد , كما ينبغي , وقام الإمام النانوتوي لقمع هذه العادة السيئة من المجتمع مع العلماء والمشايخ على مستوى رفيع , واتخذ خطوات عملية في هذا الصدد , وزوج خالته التي كانت أرملة لتقديم نموذج عملي لذلك , وقد رزقت من زوجها , فلما بلغ أبناؤها مبلغ الرجال وشاءت أن تخطب لهم , فلم يستعد أحد لربط الصلة الزواجية بهم , حتى زوج الإمام بنته بأحدهم , وهكذا مثل دورًا هامًا في إنقاذ المسلمين من هذه اللعنة .

الإمام النانوتوي مجاهدا :

يندر نظير العلماء الذين يمتلكون ناصية العلم والبحث أن يكونوا فرسانا في ساحة المعركة , ولكن الإمام النانوتوي قد جمع في شخصيته صفات متباينة في الظاهر , فقد كان متكلم الإسلام وداعيةً كبيرًا إلى الدين الحنيف , ومصلحًا لا عوجاج الأمة الإسلامية , ومدرسًا للعلوم الإسلامية , ومجاهدًا في سبيل الله , وكان من وجهات نظره أن سيطرة الإنجليز على الهند ليست خطرًا على الوجود المادي لمسلمي الهند ؛ بل على بقاء هويتهم الدينية وشعائرهم الإسلامية , فهيأ الجو للجهاد والكفاح , ولما مست الحاجة إلى نصب الأمير , وجعل الشيخ إمداد الله المهاجر المكي أميرًا على مشورته وعُين النانوتوي قائد القوّاد , وكان فوج من القوات الإنجليزية مقيمًا بأقصى مدينة " شاملي " وصلت قافلة المجاهدين إليهم ,

---

(1) هو السيد الإمام المجاهد الشهيد أحمد بن عرفان الحسيني البريلوي (1201- 1246هـ = 1786- 1831م) المجاهد الأبي الباسل , قامع الكفرة والمبتدعين , واتخذ الجهاد في سبيل الله سبيله , كان ميله إلى التدرب العسكري أكثر منه إلى القراءة والتعليم , إلا تلقى ما تلقى من العلم وأخذ =

= الطريقة عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي , وفاق الأقران وأتى بما تحير منه أعيان البلدة في العلم والمعرفة , ثم دخل في السلك العسكري , وبذل جهوده لنشر الدعوة الإسلامية , وسعى لمحاربة البدع والخرافات التي ضربت أطنابها في قلوب المسلمين هناك , واستعادة الحكم الإسلامي للهند من جديد , حتى أسس دولة مستقلة في البنجاب وما حولها , وصلت في نفوذها إلى " السند " و " بلوجستان" وجزء من " أفغانستان " وقضى حياته كلها في جهد وجهاد إلى أن قتل شهيدًا في 24/من ذي القعدة سنة 1246هـ في معركة بالاكوت , واستشهد معه كثير من أصحابه .

وقامت المعركة بينهما , فنصر الله المسلمين , ولكن الإنكليز احتلوا المنطقة مع أسلحة أقوى تأثيرًا من ذي قبل ؛ لأن البلاد كلها كانت بين براثن الإنجليز وسلطتهم , وأصدر الأمر بإلقاء القبض على الإمام النانوتوي , والقضاء عليه , وكان من تقدير الناس أنه يحكم عليه بالإعدام والشنق , وقد لجأ الإمام إلى الاختفاء في مكان محفوظ , ومعه رفاقه , وهاجر الحاج إمداد الله إلى مكة المكرمة , وفي نهاية المطاف وبعد صراعٍ دام تسعة وعشرين شهرًا , تسلمت بريطانية حكومة الهند مباشرة بيع وذلك في نوفمبر عام 1658م , الموافق شهر ربي الأول عام 1275هـ , وأعلنت الملكة وِكتورية بهذه المناسبة بعفو عام , وهكذا تخلص الإمام من هذه الرزيئة .

منهجه في الخلافيات :

ومن جوانب فكرته البارزة أنه جعل مطمح نظره ومحور جهوده الدفاع عن الإسلام ومقاومة الغزو الفكري ؛ فإن أكثر كتاباته في الرد على المسيحية , و" آريه سماج " وأكثر نقاشه وخطابه في إضعاف دعوة الردة , وصيانة المسلمين من الزيغ والانحراف , وكان أسلوبه في مجادلته مع أهل القبلة أو الكتابة فيهم مترسلاً حسنًا , ومعتدلاً ناصحًا , والعبارة التالية للإمام تجلو البصر وتسترعي انتباه علماء هذا العصر :

> " نعتقد أن تغيير العقيدة وتبديلها " رأس البدعات " , وأن تغيير القواعد الكلية وتبديلها " بدعة كبرى " , ... والحط من الأعمال الجزئية والزيادة فيها " بدعة صغرى " ..... فأما الشيعة والخوارج والمعتزلة فهم تورطوا في " رأس البدعات " وغيروا المعتقدات الأساسية , وأما إيجاد " تعزيه " وعقد المآتم ونحوهما فهي أمثلة لتغيير القواعد الكلية , وأما الحط من الفروع والزياده فيها فهي من قبيل البدعة الصغرى , قلة القبح وكثرته في البدعات من حيث صغرها وكبرها بدعة عندنا , ... والبدعات التي تعتبر بدعة كبرى عندنا توجد عامة في الشيعة والخوارج ونحوهم , ويقل وجودها في بعض طوائف أهل السنة "

ولذلك عند ما كتب كتابًا ضد الشيعة اتخذ فيه أسلوبًا حكيمًا , وحكمةً دعويةً , ولم ينل من كرامتهم , كما يقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني [1] :

" إنه أمسك القلم ضد الشيعة بلطف وحنان , وكتب فيهم بقلب ملؤه الحرقة والالتياع "

كان يراعي مدارج الأحكام في باب العقيدة أيضا , متحاشيًا من التشدد في أمور لا تعتمد عليها النجاة , وعلى سبيل التمثيل , لا على سبيل الاستقصاء كان يرى أن نبي الله مازال حيًّا , وألف حول عقيدته هذه كتابًا علميًّا نادرًا باسم " ماء الحياة " ولكنه ما ارتضى قط بأن تكون هذه العقيدة من ضروريات الدين , وثوابت الإسلام , يقول :

" لا داعي إلى الإسهاب في هذا الأمر , وإنه يكتفي أن أقول : وإن كانت العقيدة هذه , وإنني أعلم أنها لا تتغير بإذن الله تعالى , ولكنني لا أعتبرها من العقائد الضرورية , فلا أدعو إليه ولا أشتبك مع المنكرين , ولا أبدأها بنفسي , ولكن إذا سألني أحد فلا أتحاشى من إبدائها , ويحسن بكم أيضا أن تراعوا بهذا الجانب "

وهكذا كان منهجه في المسائل الفقهية , كان لا يكتب حول المسائل الخلافية بوجه عام , ولكنه لم يجد بدًا من الكتابة في بعض السلفية الذين يزعمون أن الصلاة بدون قراءة الفاتحة خلف الإمام لا تصح بتاتًا وأن التراويح بعشرين ركعة بدعة , فرجح مذهب الجمهور في

---

[1] هو العلامة مناظر أحسن الكيلاني (1892 – 1956م) ينتمي إلى قرية "كيلاني " من أعمال مدينة بتنه بولاية بيهار , كان عالما بصيرًا , وأديبًا أريبًا , ومؤرخًا كبيرًا , يجمع بين القديم والجديد , والأصالة والمعاصرة , تخرج في دار العلوم /ديوبند , على كبار علمائها أمثال الشيخ أنور شاه الكشميري والشيخ محمود الحسن الكنكوهي , كان من الكتاب المرموقين , كان يكتب بأسلوب رشيق وبديع لم ينسج على منواله , قد ملكه الحب النبوي وأخذ بمجامع قلبه , وسيطر على =

= لسانه وقلمه , عمل أستاذًا في قسم الدراسات الإسلامية من الجامعة العثمانية أعوامًا , من مؤلفاته : " النبي الخاتم " و " تدوين الحديث " و " الاقتصاد الإسلامي " و " حياة الإمام أبي حنيفة السياسية " و "سيرة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري " وغيرها .

القراءة خلف الإمام واعتبره موافقًا للعقل والنقل وذلك أن القراءة خلف الإمام ليست بواجبة , ولكن كتب في نهاية بحثه في هذه المسألة :

" ... فماذا نفعل إذا طُعن في الإمام أبي حنيفة , وأفتي بعدم جواز صلاة من لم يقرأ بفاتحة الكتاب , فإن القلم لا يمنعه مانع , ولا يحول دونه جبل , انظروا كيف نصبر على التوجيهات المذكورة والاستماع إلى السب والشتم , ولا ننازع أصحابه رغم كل ذلك , ولا نحب العصبية الزائدة في هذا الأمر , وذلك لأن الإمام أبا حنيفة – فضلاً عني وأمثالي – ليس بريئًا من إمكان الخطأ , ويمكن أن يكون قول الإمام الشافعي أصح منه ولم نستطع أن نفهم مناطه حتى الآن , ولكن عند ما نسمع إهانة الإمام عليه الرحمة , يلتاع القلب ويحترق , ويخطر بالبال أن نقف في وجه هذه الوقاحة والثرثرة , ونُسمعهم بعض ما يسوءهم , ولكن آية : [وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا] [1] وأحاديث النهي عن الشجار تمنعنا عن ذلك " [2] .

وكان يسير على الوسطية في المسائل الفقهية , كما يبدو من عبارته الآتية :

" يبدو أن ترك قراءة الفاتحة خلف الإمام أحسن وأولى من قراءتها "

وكأنه يقول : إننا نأخذ بعدم القراءة ولكننا لا نحسب القراءة غير جائزة .

وكان يكره أن تكون الفروع موضع خلاف و شقاق بين المسلمين , فكان لا يرى إقامة الجمعة في القرى ؛ ومع ذلك يقول :

" ولو أقيمت في قرية فلا حاجة إلى المجادلة والاشتباك "

كما كان يكره التعنت في المسائل الفقهية والتشدد على رأي واحد , يقول – وهو يتحدث في مسألة من هذا النوع – :

" لا بد لأهل الإسلام من أن لا ينضجوا في مثل هذه المسائل بدون فائدة ,

---

(1) الفرقان : 63 .

(2) توثيق الكلام في الإنصات خلف الإمام , ص : 23 .

ولا يكونوا متشددين فيها , حتى يروا أنفسهم أنهم على الحق , وغيرهم على الباطل " [1] .

ولذلك كان يعمل بالأحاديث التي يستدل بها الفقهاء غير الحنفية في بعض الأحيان , يقول أقرب تلاميذه إليه الشيخ الحكيم منصور علي المراد آبادي :

" كان يعمل بالفقه الحنفي , ولكنه كان يتبع سنن الرسول , ويعمل بالمسائل الخلافية أيضا في بعض الأحيان " [2] .

وكان يرى أن الأحكام المنسوخة لا بد من أن تكون مندوبة , لأجل فرط حبه في العمل بالنصوص , وهذا التوسط الذي تمسك به النانوتوي خلال حياته أسوة للعلماء المعاصرين .

ومن جوانب هذه الوسطية أنه كان يحتاط في تكفير أهل القبلة , وقد واجه الروافض كثيرًا , وأكبر مؤلفاته حجمًا كتابه الذي ألفه ضدهم , ولكنه ما صرح بتكفيرهم قط ؛ بل قال بأسلوبه الخاص أن " الشيعي كافر من وجه , ومؤمن من وجه آخر " وقدم لذلك نظير معاملة سيدنا علي τ مع الخوارج , فقد جاهدهم , وقد شُرِع الجهاد أصالة ضد الكفرة , ولكن لما جاؤوا أسارى لم يجعل رجالهم عبيدًا , ونساءهم إماءًا , فكأنه ما عدهم كفارًا من هذه الناحية .

ومن مميزاته البارزة أنه كان منيباً أوّاهًا , متواضعًا في غير عجز , بعيدًا عن الاندفاع وراء السمعة , فإنه أسس دار العلوم /ديوبند على التوكل بدلاً من دعم حكومي ووعد من غني محكم القول , وأوصى بالتوكل على الله وعدم الجري وراء الحصول على موارد مالية مستقلة ؛ حتى لا تضعف كيفيات التوكل على الله والرجوع إليه , ومن تواضعه أنه وضع بنفسه تصميم دار العلوم , ولكنه قدم رفاقه في كل صغير وكبير , كان يتخفف في ملبسه , يكسو ثيابًا بسيطة عادية , يحسبه الجاهل بدويًا من زراع الحقول , ولا يهتم كثيرًا بحسن مظهره , ومن ثمار هذا التواضع الجم أن الله جعل حركته بعده حركة عالمية دوى صوتها في الآفاق , فقد أخفى

---

[1] جمال القاسمي , ص : 9.

[2] مذهب منصور : 192/2 .

نفسه , ولكن الله أبرزه على منصة العالم , وجعل له لسان صدق في الآخرين .

فهرس المحتويات

بيانات شخصية

الاسم : خالد سيف الله الرحماني بن الشيخ زين العابدين

المؤهلات التعليمية : الثانوية والفضيلة في الحديث : الجامعة الرحمانية , مونغير بولاية بيهار(الهند)

شهادة الفضيلة في علوم الشريعة : الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند

التدريب على القضاء والإفتاء : الإمارة الشرعية بولاية بيهار

المناصب الحالية

- الأمين العام : لمجمع الفقه الإسلامي بالهند
- مدير ومؤسس : للمعهد العالي الإسلامي حيدرآباد (الهند)
- المشرف العام : لمركز السلام والرسالة الصادقة، حيدرآباد
- الأمين العام : مجلس حماية ختم النبوة في ولاية آندرابراديش
- سكرتير : لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند
- الأمين العام : لهيئة المدارس الإسلامية بآندرابراديش
- عضو : دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ(أترابراديش)
- عضو : المجلس العلمي لدائرة المعارف العثمانية حيدرآباد
- قاضي المحكمة الشرعية : للإمارة الملية الإسلامية في ولاية آندرابراديش
- عضو : معهد الدراسات الموضوعية بدهلي (الهند)
- عضو : مجلس الشورى لمنظمة ا لإمارة الشرعية لولاية بيهار وأريسه وجارخند
- المستشار الشرعي : لعدد من المؤسسات المالية الإسلامية
- رئيس التحرير : مجلة " بحث ونظر " الفصلية (أردو)
- كاتب العمود الخاص : في صحيفة " منصف" الأردية (حيدرآباد)

بالعربية :

- التحقيق والتعليق على : مختارات النوازل لـ "صاحب الهداية"
- التحقيق والتعليق على : الأشباه والنظائر لابن نجيم (تحت الطبع)
- فقه الحلال والحرام (تحت الطبع)
- مباحث في أصول الفقه (تحت الطبع)
- قضايا فقهية معاصرة وأسلوب معالجتها
- معايير الحنفية في الاحتجاج بالسنة
- الدعوة إلى الله وواجب الأمة المسلة نحوها
- قضايا فقهية معاصرة وأسلوب معالجتها
- فقه الدعوة

- قضايا فقهية في الأقليات المسلمة

بالأردية:

- قاموس الفقه (5 مجلدات)
- كتاب الفتاوى (مجموعة الفتاوى, 6 مجلدات)
- جديد فقهي مسائل (5 مجلدات ،وقد طبع في خمس لغات)
- (قضايا فقهيه معاصرة في الطب)
- جديد معاشي مسائل (قضايا فقهيه معاصرة في الاقتصاد)
- جديد معاشرتي مسائل (قضايا فقهيه معاصرة في الأحوال الشخصية)
- عبادات اور جديد مسائل (قضايا فقهيه معاصرة في العبادات)
- (نبي الإنسانية ρ)
- حلال وحرام
- (الإسلام وتحديد النسل)
- (القوانين الشخصية للمسلمين وشبهات الزائغين)
- (المرأة في ظلال الإسلام)
- مختصر سيرت ابن هشام
- اسلام كا نظام عشر و زكوة (نظام العشر والزكاة في الإسلام)
- طلاق و تفريق (الطلاق والتفريق في الشريعة الإسلامية)

- آسان اصول فقه (أصول الفقه الميسرة)
- (الحقوق المالية للنساء)
- مسلم غير مسلم تعلقات (فقه العلاقة بين المسلمين وغيرهم)
- (رسالة السيرة المحمدية في خلفية العصر الراهن)
- فقه اسلامي- تدوين و تعارف (المدخل في الفقه الإسلامي)

بالإنجليزية:

1. Women in Islamic Perspective
2. Benefactor of Humanity
3. Women's Financial Rights in The Light of Islamic Shariaat
4. Islam And The Inter – Community Relations

الشيخ خالد سيف الله الرحماني

العنوان : بيت الحمد , رقم البيت : 16-182/1 قبا كالوني , فهاري شريف , حيدرآباد ، 500005 (آندرابراديش) الهند

Address : Bait-ul-Hamd, H.No. 16-182-/1, Quba Colony,
P.O. Pahadi Shareef, Hyderabad-500005, AP (India)

رقم الهاتف : (المكتب) 0091_40_20022098
(المنزل) 0091_9247577795

رقم الجوال : 0091_9959642747

البريد الإلكتروني: ksrahmani@yahoo.com
info@khallidrahmani.com

الموقع على الإنترنت : www.khalidrahmani.com